الحكمة الخليقة

تأليف أبي الحسن عليّ
ابن يحيى الزنديستيّ
(ت. نحو ٤٠٠/١٠١٠)

الحكمة الخليقة

تأليف أبي الحسن عليّ ابن يحيى الزندويستيّ (ت. نحو ٤٠٠/١٠١٠)

تحقيق

بلال الأرفه لي وخالد محمّد عبده

الحكمة الخليقة

الطبعة الأولى ٢٠٢٣

الأشرفيّة - بيروت، لبنان
هاتف: ٢٠٢٤٢٣-١-٩٦١+
info@darelmachreq.com
www.darelmachreq.com

التدقيق اللغويّ، وتصميم الغلاف، والإخراج: **فريق دار المشرق**

ISBN: 978-2-7214-8185-6

التوزيع:

مكتبة إسطفان
موزّعون - ش.م.ل.

فرن الشباك - بيروت، لبنان
هاتف: ٢٨٣٣٣٣-١-٩٦١+
info@librairiestephan.com
www.librairiestephan.com

حقوق الطبع محفوظة © **دار المشرق ش.م.م**

جميع الحقوق محفوظة، لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أيّ جزءٍ منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأيّ شكلٍ من الأشكال، من دون إذنٍ خطّي مسبق من النّاشر.

إلى التي أمضت عمرها في طلب الحكمة

سعاد الحكيم

مقدّمة[1]

الحكمة والعلل

تعدّ الحكمة ضربًا من ضروب التأمّل الإنسانيّ في الحياة والموروث، وغالبًا ما تتأسّس وفقًا لتجربة الناطق بها، فإن كان ميّالًا إلى الفلسفة انصبغت بطابع منطقيّ ونظريّ، وجسّدت خلاصةَ نظره في الآفاق والأنفس، وإن كان ميّالًا إلى الموروث والشعبيّ آنست حكمته جماهير البسطاء من المؤمنين وأجابت عن أسئلتهم العفويّة. وقد عرفت الثقافة الإسلاميّة أنماطًا شتّى من الحِكم، وذلك بتدبّرها النصوص الدينيّة، القرآن والسنّة، وقصص السابقين. وفي التدبّر تساؤل، ولكلّ تساؤل إجابة: ما الحكمة في خلق الله الكون؟ ولم استُهلّت إحدى السور بالتسبيح؟ ولم لم تبتدئ أخرى بالبسملة؟ لم سبقت المغفرة الرحمة؟ ولم خلق الله النار والجنّة؟ ولم قال النبيّ هذه الكلمة؟ وما الحكمة من وجوب فعلٍ معيّن في الشريعة؟ وما الحكمة من تحريم آخر؟

والحكمةُ في العربيّة معرفةُ أفضل الأشياء بإحكام وإتقان؛[2] فالحاكمُ

(١) يشكر الباحثان مجلس البحوث وكرسيّ الشيخ زايد للدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت ومعهد الأبحاث في جامعة نيويورك أبو ظبي لدعمهم هذا العمل.

(٢) ورد استعمال الحكمة في القرآن الكريم على ستّة أوجه، استُعمل في بعضها لفظ=

ينهى ويأمر وفقًا لحكمته وتجربته وإتقانه الأمور، والحكيم يعظ ويوصي بناءً على تجربة ودربة ودراية بالحياة والنفوس ومسالكها، والحكمة عطيّة وهبة وموهبة بها تُدرك الأشياء بحقائقها. ومن الحكمة ما يستند إلى النقل (الكتب المقدّسة)، ومنها ما يستند إلى العقل والتأمّل والتجربة الروحانيّة. ولحضّ الكتب السماويّة على الحكمة، لم يتردّد أهل الإيمان في البحث عنها، حتّى صارت ضالّة كلّ باحث[٣] وسائر في الطريق إلى الله.

=الحُكم، وهي: أ- النبوّة والرسالة، كقوله تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١]؛ ب- التفسير والتأويل وإصابة القول، كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]؛ ج- فهم الدقائق والفقه في الدين، كقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]؛ د- الوعظ والتذكير، كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤]؛ هـ- آيات القرآن وأوامره ونواهيه، كقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ و- حجّة العقل وفق أحكام الشريعة، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]. ومن أسماء الله تعالى «الحكيم،» فالحكمة التي يؤتيها تعالى عبادَه معرفة أفضل الأشياء بإحكام وإتقان. راجع: ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩)، ٩٥١-٩٥٤. الفيروزآباديّ، *القاموس المحيط*، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ٢٠٠٥)، ١٠٩٥. الفيروزآباديّ، *بصائر ذوي التمييز*، تحقيق محمّد علي النجّار وعبد العليم الطحاوي (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، ١٩٩٦) ٤٨٧-٤٩٢.

وانظر كتاب حكمت يمان عن الحكمة في التراث الإسلاميّ، خاصّة الفصلين المتعلّقين بالحكمة في المعاجم العربيّة والحكمة في القرآن:

Hikmet Yaman, *Prophetic Niche in the Virtuous City* (Leiden: Brill, 2011), 9–11, 49–60.

(٣) وردت الحكمة في الحديث النبويّ بلفظها هدفًا للمؤمن، فهي «ضالّة المؤمن»=

العلل في الشريعة

لمّا وجب في الدين أن تطابِق مقاصدُ المكلّف مقاصدَ التشريع أو تسعى إلى ذلك جهدها، ولمّا توقّف هذا السعي على معرفة هذه المقاصد الشرعيّة، أسهمت علل الأحكام – التي تمثّل أغلب جوانب الأحكام الوظيفيّة – في تصوّر الانتفاع بالأعمال وذلك لاستثمارها في السلوك والتقويم الخلقيّ، وبذا سُمّيت العلّة حكمة وسرًّا ومعنى، ذلك أنّها سبب من أسباب تحقيق الحكمة من العمل. ومع أنّ البعض قد جعل الأصل في العبادات التعبّد دون قصد إلى المعاني، أي العلل، لا يتنافى التعبّد مع وجود المعاني. ولا يتأتّى تجريد الامتثال للأمر الإلهيّ دون علّة إلّا للقلائل، على أنّ معرفة العلل أمر يحثّ على الاجتهاد في التعبّد لإدراك مقاصده، علاوة على أنّ السعي إلى رضا الله تعالى في نهاية المطاف هو أسمى علل الأعمال.

وقد أكّد الحكيم الترمذيّ[٤] (ت. نحو ٢٩٥–٣٠٠/ ٩٠٧–٩١٢

=وهي ممّا يعلي من شأنه. كما وُصفت فيه ببعض مظاهرها كالعزلة والصمت، وقد عدّ الحديثُ بعض الشعر حكمة أو حُكمًا. ووردت الحكمة بألفاظ أخرى دالّة عليها، كالعلم النافع الذي محلّه القلب، «إنَّ من البيانِ سحرًا، وإنَّ من الشِّعرِ حِكمةً؛» راجع: السيوطيّ، *الجامع الصغير* (بيروت: دار الفكر، ١٩٨١)، ١/ ٥٩١.

(٤) درس أيوب بالمر الحكمة في أعمال الحكيم الترمذيّ خاصّة *كتاب الحكمة*، وخلص إلى أنّ الترمذيّ قد استعان بالتراث الهلنستي عامدًا، وبخاصّة الأفلاطونيّة المحدثة، من أجل صياغة مفهوم خاصّ للحكمة يرتبط بالولاية. انظر:
Aiyub Palmer, *Sainthood and Authority in Early Islam: Al-Ḥakīm al-Tirmidhī's Theory of* wilāya *and the Reenvisioning of the Sunnī Caliphate* (Leiden: Brill, 2020), 102–109.

تقريبًا) «أنّ الشريعة معلّلة بجلب المصلحة ودرء المفسدة»[٥] وأنّ معرفة علّة الأحكام هي باطن العلم، وهي العلم النافع، وجوهر الأمور، والحجّة، وذلك ردًّا على من قال إنّه ليس لأوامر الله ونواهيه في شرعه علل وإنّما هي امتحان وابتلاء. وأكّد الترمذيّ أنّ علل الشريعة «قائمةٌ عَلِمَها من عَلِمَها وجَهِلَها من جَهِلَها» وبيّن للمعترض أنّ الابتلاء والامتحان علّتان بدورهما.[٦] وبناءً على شواهد الشرع وأنوار البصائر أقرّ الغزّاليّ (ت. ٥٠٥/ ١١١١) «أنّ مقصود الشرائع كلّها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه» وأنّ الشرع الإسلاميّ معهود منه «الالتفات إلى المصالح.»[٧]

والعلل بوجه عامّ، وعلل الشريعة بوجه خاصّ، نوعان: جليّ وخفيّ. أمّا طلب الخفيّ منها، وفقًا للترمذيّ، فهو على مرحلتين: أولاهما حسن القبول من الله تعالى وتسليم النفس له تسليمًا فيما عقل من العلّة وفيما لم يعقل مع التدبّر، من غير منازعة ومجادلة ومماراة؛ وثانيتهما مجاهدة النفس في الله والتخلّي عن حبّ النفس وشهواتها حتّى يشرح الله الصدر ويملأه من أنوار حكمته، وإنّ فعل الامتلاء هذا يتمّ بشكل تفاعليّ متدرّج، فالعبد يستبين بالأنوار الأولى حمدَ الله تعالى، ويستعين بها على معرفة

(٥) الترمذيّ، *كتاب إثبات العلل*، تحقيق خالد زهري (الرباط: منشورات كلّيّة الآداب، ١٩٩٨)، ٤٣، ٦٩.

(٦) المصدر نفسه، ٦٧-٦٨.

(٧) الغزّاليّ، *إحياء علوم الدين* (بيروت: دار القلم، د.ت.)، ٤/ ٢١-٢٢؛ والغزّاليّ، *المستصفى*، تحقيق محمّد عبد السلام عبد الشافي (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٣)، ٢/ ٣٢٠.

ما يعمل وعلى الاجتهاد والإخلاص فيه، وبذا يزداد نورًا ومعرفة وعملًا. أمّا من حُرم نور الحكمة فقد يخلص في العبادة لا في العبوديّة، وقد يؤثر مداني الأعمال على معاليها لجهله جواهرها فتكون أعماله قوالب خالية. وتدرَك العلل بالترقّي في نيل الحكمة التي يطالعها خاصّةُ الله بعيون القلوب التي أشرقت بأنوار المجاهدة في الله حقّ جهاده. ويرتّب الترمذيّ تلك العلل ترتيبًا تصاعديًّا على النحو الآتي: علل الأمر والنهي – علل المقادير في محلّها – علل أعمال العمّال وقسمتها بين الخلق ولطف الله بهم وحسن تدبيره – علل ما يكتب وما يمحى في أمّ الكتاب بمشيئته تعالى – مجرى القضاء في عالم الجبروت.

ويستشهد الترمذيّ في عرضه مسألةَ العلل بأقوال السلف الصالح، كقول الحسن البصريّ (ت. ١١٠/ ٧٢٨): «ما أدركنا من هذه العلل من طريق الحكمة تكلّمنا فيه وبيّنّاه تأويلًا للحكمة، لا حكمًا على الله في غيبة، وما خفي علينا سلّمنا له، والعبودة لله منّا فيه قائمة.» كما يبني على أقوال عليّ بن أبي طالب (ت. ٤٠/ ٦٦١) ما يؤصّل به ذلك المسلك، فهو القائل في كلامه على إحدى دعائم الإيمان: «واليقين على أربع شعب: على تبصرة الفطنة وتأوّل الحكمة، وموعظة العبرة، وسنّة الأوّلين، فمن تبصّر الفطنة تأوّل الحكمة، ومن تأوّل الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين،»[٨] فالعلل التي يدركها العارف حكمةٌ مستمدّة من حكمة الله العليا التي لا يحاط بها.

(٨) الترمذيّ، *إثبات العلل*، ٧٢-٧٧.

إنّ الحكمة تأويل يؤدّي إلى معرفة العبرة، وهي حكمة بدورها، فالتأويل لغةً هو الرجوع إلى مبتدأ الأشياء، هو بحث في حقائق الأمور، وفهم مستمرّ أو محاولة لا نهائيّة لفهمٍ متجدّد ومتطوّر، وهو بحث دؤوب عن الحقائق الأولى المتباعدة والمتعالية دومًا إذ لا نهاية للحكمة الإلهيّة التي هي مصدر كلّ حكمة.

أنبياء الحكمة(٩)

افتُتحت سورة لقمان، وهو حكيم من الحكماء، بـ﴿الم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١-٢] وجاء فيها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]. والآيات الحكيمة، وفقًا لأبي الحسن الحراليّ المراكشيّ (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠-١٢٤١) صاحب *دفتر سعد الواعي وأُنس القاري*، هي تلك التي يذكر الله فيها عبدًا أغنى قلبه ونوّر بصيرته، فيُعطيه ويثني بما أعطاه وهو الغنيّ الحميد.(١٠) وقد كثرت صور لقمان في تراثنا الإسلاميّ، إذ نُسبت إليه حكم وأمثال وأقوال تُروى للعظة والاعتبار، وتداول العرب أخباره في الجاهليّة وفي صدر الإسلام، واهتمّ المفسّرون وكتّاب التاريخ والسير بقصّته وعظاته، وقد رآها البعض جديرة بالتداول باعتبارها دستورًا للإيمان والأخلاق الفاضلة، ولاسيّما عظاته لابنه وهي ما سجّل القرآن بعضها. وقد أثارت صورة

(٩) انظر الفصل المتعلّق بالحكمة والأنبياء في:

Hikmet Yaman, *Prophetic Niche in the Virtuous City*, 61–87.

(١٠) الحراليّ، *دفتر سعد الواعي وأُنس القاري*، مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس، مجموع رقم ١٣٩٨، ورقة ١٨٨.

لقمان (العربيّة – الإسلاميّة) الجدل عند المعاصرين، ففُرِّق بين لقمان بطل الجاهليّة وحكيمها، وهو الذي ذُكرت أخباره في كتاب *أخبار ملوك اليمن*؛ ولقمان المعمّر الذي ذكره أبو حاتم السجستانيّ (ت. نحو ٢٥٥/ ٨٦٨) في كتاب *المعمّرين*، وقد جمع فيه من تجاربه وحِكمه أكثر ممّا جمعه لغيره؛ ولقمان كما صوّره المفسّرون والإخباريّون، وهو الذي – كما روى وهب بن منبّه (ت. ١١٤/ ٧٣٢) – قرأ عشرة آلاف فصل من حكمته، وتهتمّ كتب الأدب بصحيفة للقمان تدعى «مجلّة» وتروي فصولًا منها.(١١) على الرغم ممّا ذكرنا، لم يمنع هذا الصوفيّةَ من توارث حِكم لقمان والعناية بها جيلًا بعد جيل، وذكرِ ما يُنسب إليه والاستناد إليه في مناسباتهم الدينيّة وتربيتهم للمريدين.(١٢)

ويشير القرآن إلى حكيم آخر، هو داود، في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ [ص: ١٧] الآية إلى قوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. وقد أوتي داودُ من السبب الحكميّ في الأمور الدينيّة والدنيويّة ما كان به خليفة في الأرض، فآتاه ربّه الحكمة

(١١) راجع: شوقي ضيف، *العصر الجاهليّ* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠)، ٤٠٧. وقارن فاروق خورشيد، «لقمان الحكيم الذي خاض الأخطار وعاش ألف عام،» *مجلّة الهلال* ١٢ (ديسمبر ١٩٦١)، ٩١–٩٤. وإحسان جعفر، «لقمان الحكيم في القصص والأمثال،» *مجلّة الفيصل* ١٩٧ (١٩٩٣)، ٩٨–١٠١.

(١٢) للاطّلاع على ورود لقمان في التراث القديم والقرآن والمصادر الإسلاميّة العربيّة والفارسيّة والتركيّة، انظر:

Heller, B. and Stillmann, N.A., “Luḳmān”, in: *Encyclopaedia of Islam*, Second Edition, online.

وآتاه ما علّمَه به صنعة الدروع ليتحصّن بها من بأس الناس، وما استطاع به قتل جالوت، وغير ذلك. ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ البيان عمّا في نفسه من حكمته وعلمه، ليتعلّم من ذلك محاضرُه.

كما تظهر الحكمة في ميلاد المسيح وبعثته، إذ جاء في الذكر الحكيم: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾ [الزخرف:٦٣] الآية. وقد رأى الصوفيّة الحكمةَ في هذه الآية على ضربين: حكمة ظاهرة جسمانيّة، وحكمة باطنة نفسانيّة؛ ومشهودة بالعيان ملكيّة، ومرئيّة باليقين والكشف ملكوتيّة. وقد ظهرت من عيسى عليه السلام جملتها، فأصلح لقومه دنياهم وأراهم من حكمة الروح القدس النافخ في الأجساد الأرواح ومن إبراء الأسقام التي هي حظّ من موت بما فيه من فضل الحياة، لأنّه روحٌ من الله، حتّى إنّ من حكمته عند نزوله آخر اليوم المحمّديّ إماتة الكافر وإعادة ما أذهب البأساء والضرّاء من حياة المؤمن، حتّى إنّه لا يجد نفسَه كافرٌ إلّا مات، وينال به من حياة الصلاح من يناله بصره، ولا يجد نفسَه مؤمنٌ إلّا ماتَتْ خفيّة خنزيريّته وانكسرت خفيةُ صليبيّته. وقد أوتي عيسى حظًّا كافيًا من ظاهر الحكمة، كالزهد ونفض اليد من الأدوات والآلات، فوصل به إلى الغنى.

وللحكمة صور شتّى، تختلف باختلاف الناطق بها، شاعرًا كان أم حكيمًا (فيلسوفًا) أم متصوّفًا أم نبيًّا أم متألّهًا. من هذا المنطلق، كان من الطبيعيّ أن تتعدّد الدراسات في الحكمة وأن نقع على الحكمة النظريّة والعمليّة وأن يحاول المتدبّر أن ينقل إلينا «الحكمة الخالدة» حسب تجاربه أو من خلال التراث الإنسانيّ الواسع الذي انفتح عليه، كمسكويه

(ت. ٤٢١/ ١٠٣٠) في كتابه الشهير *الحكمة الخالدة*[١٣] وابن المقفّع (ت. ١٤٢/ ٧٥٩) وابن فاتك (ت. نحو ٥٠٠/ ١١٠٦) وإن لم تتوارث الأجيال حكمهم ولم يكتب لها الذيوع كما كُتب لغيرها.[١٤]

وقد بحث كثير من علماء المسلمين عن حكيم الأقوال التي يزخر بها الحديث النبويّ الشريف فصنّفوا فيها كتبًا جليلة مثل كتاب *شهاب الأخبار* للإمام القضاعيّ (ت. ٤٥٤/ ١٠٦٢)، وكتاب *النجم من كلام سيّد العرب والعجم* لأحمد التجيبيّ الأندلسيّ (ت. ٥٥٠/ ١١٥٥)، وكتاب *الحقائق في الكلام الرائق* للإمام جمال الدين بن غانم (ت. ٧٤٤/ ١٣٤٣). كما اهتمّ علماء المسلمين بنقل الحكم عن الصحابة، كما يظهر في كتاب *نهج البلاغة* للشريف الرضيّ (ت. ٤٠٦/ ١٠١٥) وكتاب *حلية الأولياء* لأبي نعيم الأصفهانيّ (ت. ٤٣٠/ ١٠٣٨)، وفي ما نقله الإمام رشيد الوطواط (ت. ٥٧٣/ ١١٧٧) من أقوال كلّ من الصحابة الخلفاء وغيرهم.[١٥]

(١٣) خصّص فارس أحمد العلاوي مقالًا لدراسة الحكمة عند مسكويه، وقد أسهم في مقاله هذا في التعرّف على كيفيّة استفادة المصنّفين المسلمين من حِكم الأمم الأخرى؛ راجع: أحمد العلاوي، «نظريّة الحكمة الخالدة في فلسفة مسكويه،» *مجلّة المعرفة* ٤٠٦ (يوليو ١٩٩٧)، ١٠-٣٩.

(١٤) للشيخ عبد المتعال الصعيدي قراءة لآيات الحكمة في القرآن؛ راجع: عبد المتعال الصعيدي، «الإسلام والحكمة،» *مجلّة الرسالة* ٦٦٧ (أبريل ١٩٤٦)، ٤١٤-٤١٦.

(١٥) لرشيد الدين الوطواط كتاب *تحفة الصديق من كلام أبي بكر الصدّيق، وفصل الخطاب من كلام عمر بن الخطّاب، وأنس اللهفان من كلام عثمان بن عفّان، ومطلوب كلّ طالب من كلام عليّ بن أبي طالب*. قال صاحب *كشف الظنون*: رأيت الجميع في مجلّد. راجع كامل سلمان الجبوريّ، *معجم الأدباء من العصر الجاهليّ حتّى سنة ٢٠٠٢* (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٣)، ٦/ ٩٧.

علاوة على نقل الحكم وروايتها، اهتمّ عدد غير يسير من أئمّة المسلمين بصوغ الحكم أو جمعها، ومن هؤلاء وهب بن منبّه والشافعيّ (ت. ٢٠٤/ ٨٢٠) وسهل التستريّ (ت. ٢٨٣/ ٨٩٦) والحكيم الترمذيّ وأبو الليث السمرقنديّ (ت. ٣٧٣/ ٩٨٣) وأبو مدين التلمسانيّ (ت. ٥٩٤/ ١١٩٧) وابن عربيّ (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠) والإمام الشاذليّ (ت. ٦٥٦/ ١٢٥٨) الذي جمع تلامذته ما أثر عنه من حِكم، وغير هؤلاء من العلماء والعارفين.

شغلت الحكمة علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم – الفقيه والفيلسوف والمؤرّخ والأديب والأصوليّ والصوفيّ والمحدّث – فعلًا وكتابةً وذكرًا، وبات الحكيم هو العالم، وصاحب الحكمة هو المتقن للأمور. وأُطلقت الحكمة على قصد التشريع في جلب مصلحة أو دفع مفسدة، وهي أن يعقل المتدبّر أفضل الأشياء بأفضل علم حتّى يصل إلى كمال نفسه، فيدرك المكنون والمطويّ عن غيره وينطق بأسرار الحقيقة التي لا يطّلع عليها غيره على قدر طاقته الإنسانيّة.

وحملت عدّة مصنّفات «الحكمة» عنوانًا، كـ *الحكمة الخالدة* لأبي عليّ بن مسكويه، وخصّص بعضها فصولًا لنثر الحِكم وبيان العلل والأسباب، وأصبحت الحِكم موضوعًا للتدبّر والنقاش عند الأدباء والفلاسفة فرُويت لتُقرأ ويُعلّق عليها، وخير مثال على هذا كتاب *المقابسات* للتوحيديّ (٤١٤/ ١٠٢٣) الذي نقل حكم أبي الحسن العامريّ (ت. ٣٨١/ ٩٩٢) الفلسفيّة المثبتة في كتابه *النسك العقليّ* في المقابسة التسعين. وخصّص أبو الحسن عليّ بن الحسن الكرمانيّ

السيرجانيّ (ت. نحو ٤٧٠/ ١٠٧٧) فصلًا للحكمة في كتابه *البياض والسواد من خصائص حِكَم العباد في نعت المريد والمراد*،[١٦] ونظرًا لأهمّيّة ما جاء في هذا الفصل أفردَتْه الصوفيّة بالرواية والتدوين بشكل منفصل، فتناقلوه ضمن مؤلّفاتهم ورسائلهم.[١٧]

صارت الحكمة «رأس الأخلاق الحسنة،» حسب عبارة أبي حامد الغزّاليّ، وغرضًا من أغراض التأليف. لذا لا يستغرب تأليفُ فقيه الصوفيّة الغزّاليّ كتابًا عنوانه *الحكمة في مخلوقات الله*، وتدوين حكيم الصوفيّة ابن عطاء الله السكندريّ (ت. ٧٠٩/ ١٣٠٩) حكمه الخالدة لتُقرأ وتشرح وتستعمل للاسترشاد والتدارس.[١٨] لكن هل كان الغزّاليّ أوّل من بحث عن الحكمة في الخلق في تآليفه؟ الواقع أنّ غيره سبقه إلى ذلك؛ فكما سُبق *إحياء* الغزّاليّ بموسوعات صوفيّة، سبقه غيره

(١٦) يقع باب الحكمة في ستّ صفحات؛ انظر: السيرجانيّ، *البياض والسواد من خصائص حِكَم العباد في نعت المريد والمراد*، تحقيق بلال الأرفه لي وندى صعب (القاهرة: دار القدس، ٢٠١٩)، ٧–١٣.

(١٧) نشير بوجه خاصّ إلى مخطوط السليمانيّة، أسعد أفندي ٣٦٨٨. فقد تضمّن رسالة بعنوان: «بيان الحكمة من كتاب البياض والسواد.»

(١٨) لقد رصد ديمتري غوتاس التطوّر التاريخيّ لمصطلح الحكمة قبل النصّ القرآنيّ وبعده. فقام بالبحث عن معاني الحكمة ومصادرها ودورها وتضمينها في الأدب العربيّ، ومرّ سريعًا على أعمال المتصوّفة ضمن أدب الحكمة. في ما يتعلّق بأعمال المتصوّفة، ذكر غوتاس رسالة في الحكم والتصوّف لسهل التستريّ *والحكم العطائيّة* لابن عطاء الله السكندريّ الشاذليّ.

Dimitri Gutas, "Classical Arabic Wisdom Literature: Nature and Scope," in *Journal of the American Oriental Society* 101 (1981), 49–86.

إلى التأليف في الحكمة أيضًا، ومن هؤلاء الزندويستيّ (ت. نحو ٤٠٠/ ١٠١٠) صاحب *روضة العلماء والحكمة الخليقة*.

الزندويستيّ الفقيه الزاهد

الزندويستيّ أبو الحسن عليّ بن يحيى بن محمّد البخاريّ، عُرف بالشيخ والإمام الفقيه الزاهد، ومن تصانيفه: *شرح الجامع الكبير في الفروع*، *ومتحيّر الألفاظ*، *ونظم في الفقه*، *وروضة العلماء*، *والمبكيات*، *والحكمة الخليقة*. ونظرًا لأهمّية مؤلّفاته في الفقه والتصوّف، ظلّت كتاباته محطّ عناية واهتمام في التراث الإسلاميّ فنقل عنه العلماء واستندوا إلى آرائه. وقد صعب علينا الوقوع على تفاصيل حياته ورحلاته العلميّة لقلّتها، وأغلب ما وصلنا عنه ورد في مصادر متأخّرة كـ *كشف الظنون* لحاجّي خليفة (ت. ١٠٦٧/ ١٦٥٦)، وقد اقتصرت هذه المعلومات على عناوين مؤلّفاته ومقدّمة *روضة العلماء*. ووصلنا من مؤلّفاته اثنان في غاية الأهمّيّة هما: *روضة العلماء*، *والحكمة الخليقة*. وإنّنا بنشرتنا العلميّة هذه نبيّن تراث الزندويستيّ الفكريّ ونكشف عن حلقة مهمّة من حلقات اتّصال الفقه بالتصوّف قبل أكثر من ألف عام مضى.

روضة العلماء

ذكر الزندويستيّ في مقدّمة *روضة العلماء* أنّه صنّفه مرّتين؛ فلمّا أملاه في أولاهما على أصحابه، وقد خلا من المسائل والفقه والحِكم، سأله «بعض من قد ابتلي بالجلوس في المجالس العامّة» بأن يصنّفه ثانيةً، فأعاد وضعه، وجمع في بداية كلّ باب خمسًا إلى عشر من أخوات

المسائل، ثمّ أصّلها من القرآن والسنّة النبويّة والحكايات، وسمّاه «روضة العلماء،» بعد أن كان قد عنونه في نسخته الأولى «روضة المذكّرين.» وافتتح الكتاب بفضل العلم والعلماء ليزيد رغبة المتعلّم والناظر إذا قرأه أو سمعه، وختمه بباب السلام. وقد حرص الزندويستيّ في كتابه هذا على ذكر الحِكم سواء بنقلها عن غيره أم بصوغها، فتكرّرت في أبواب الكتاب عبارات نحو: وقيل في الحكمة، وقال الحكماء، وسُئل بعض الحكماء عن، والحكمة في هذا الأمر كذا وكذا. وتظهر الحكمة سواء أتعلّق الأمر بالتشريع أم بالسؤال عن الغيبيّات أو الإلهيّات، ولعلّ هذا كان الدافع الذي حثّه على أن يخصّ الحكمة بمؤلّف مستقلّ.

أبواب كتاب *روضة العلماء*[١٩]

الباب الأوّل في فضل العلم.
الباب الثاني في فضل العلماء والفقهاء.
الباب الثالث في زهد العلماء وبعدهم عن السلطان.
الباب الرابع في فضل من علّم ولده القرآن أو قرأ بنفسه.
الباب الخامس فيما يجب على العالم أن يستعمل أوّلًا ثمّ يعلّم غيره.
الباب السادس في فضل لا إله إلّا الله محمّد رسول الله.
الباب السابع بابٌ آخر في فضل لا إله إلّا الله محمّد رسول الله.

(١٩) وقفنا على أكثر من عشرين نسخة خطّيّة لهذا الكتاب، وقد شرعنا بالعمل عليه منذ فترة، وضبطنا جزءًا منه، ونكتفي في هذه المقدّمة بالإحالة إلى نسخة السليمانيّة، رشيد أفندي ١٢٦٩، ونسخة بورصه، أولي جامع رقم ١٧٩٧.

الباب الثامن في الصبر على الشدّة لأجل الدين.
الباب التاسع في الخوف من الخاتمة والخروج من الدنيا.
الباب العاشر بابٌ آخر في الخوف من الخاتمة.
الباب الحادي عشر في ترك الذنب مخافة الله.
الباب الثاني عشر في تفويض الأمر إلى الله تعالى.
الباب الثالث عشر في الخوف من فوات الجنّة ودخول النار.
الباب الرابع عشر في منادي الموتى وندامتهم ومنادي القبر.
الباب الخامس عشر في رفع الحاجة إلى الله تعالى.
الباب السادس عشر في إصلاح النفس والقلب.
الباب السابع عشر في ذكر علماء السوء والقرّاء.
الباب الثامن عشر في الورع وذكر الورعين.
الباب التاسع عشر في محبّة الله تعالى بمسائله.
الباب العشرون في فضل الصلاة على النبيّ عليه السلام.
الباب الحادي والعشرون في شرف النبيّ عليه السلام.
الباب الثاني والعشرون في النجاة من النار بشفاعة.
الباب الثالث والعشرون في وزر من آذى مسلمًا وفضل من أحسن إليه.
الباب الرابع والعشرون فيما يحبّ لنفسه ويحبّ للناس.
الباب الخامس والعشرون في فضل الوضوء والطهارة.
الباب السادس والعشرون في فضائل الوضوء بمسائله.
الباب السابع والعشرون في فضل من أذّن.
الباب الثامن والعشرون في فضل من سمع الأذان وأجابه.

الباب التاسع والعشرون في فضل التكبيرة الأولى.
الباب الثلاثون في الصلاة وفضلها.
الباب الحادي والثلاثون في فضل الورع والخشوع في الصلاة.
الباب الثاني والثلاثون في فضل الجماعة ووزر من تركها.
الباب الثالث والثلاثون فيمن صلّى التطوّع في الليالي.
الباب الرابع والثلاثون في فضائل السجود في الصلاة.
الباب الخامس والثلاثون بابٌ آخر من فضل السجدة.
الباب السادس والثلاثون في وزر من أخّر الصلاة.
الباب السابع والثلاثون في وزر من مشى بالنميمة.
الباب الثامن والثلاثون في وزر من اغتاب الناس.
الباب التاسع والثلاثون في الاجتناب عن الشبهات.
الباب الأربعون في تهيّؤ إجابة ملك الموت.
الباب الحادي والأربعون في سكرات الموت ومراراته.
الباب الثاني والأربعون في ذكر الموت.
الباب الثالث والأربعون بابٌ آخر في الموت.
الباب الرابع والأربعون بابٌ آخر في ذكر الموت.
الباب الخامس والأربعون في صفة القبر والنزول.
الباب السادس والأربعون في سؤال المنكر والنكير.
الباب السابع والأربعون في الصبر على المصيبة.
الباب الثامن والأربعون في الوفاء بالعهد والوعد.
الباب التاسع والأربعون في فضل من سقى مسلمًا.

الباب الخمسون في ثواب المريض وصاحب البلايا.
الباب الحادي والخمسون في النهي عن النياحة.
الباب الثاني والخمسون في فضل صلة الرحم.
الباب الثالث والخمسون في الخوف من دعوة المظلوم.
الباب الرابع والخمسون في نُصرة المظلوم وقضاء حاجات الناس والعفو عن المظالم بمسائله وعظاته.
الباب الخامس والخمسون في برِّ الوالدين ومُرَاعاة حقّهما ووزر عُقوقهما بمسائله وعظاته.
الباب السادس والخمسون بابٌ آخر من برِّ الوالدين وحقوقهما.
الباب السابع والخمسون في الولد الصَّالح يخلِّف الرَّجُل بعد وفاته والصَّدقة على الموتى بمسائله وعظاته.
الباب الثامن والخمسون في حقّ الجار ووزر من أساء إلى جاره بمسائله وعظاته.
الباب التاسع والخمسون في حقّ الزوج على المرأة.
الباب الستّون في فضل من ستر عيوب المسلمين وذنوبهم.
الباب الحادي والستّون في فضل يوم عاشوراء وصومه.
الباب الثاني والستّون في فضل يوم الجمعة.
الباب الثالث والستّون في فضل صلاة يوم الجمعة.
الباب الرابع والستّون في فضل رجب.
الباب الخامس والستّون في فضل شعبان.
الباب السادس والستّون في فضل ليلة النصف من شعبان.

الباب السابع والستّون في فضل شهر رمضان.
الباب الثامن والستّون في فضل الصوم.
الباب التاسع والستّون في فضل ليلة القدر.
الباب السبعون في فضل أيّام العشر الأوَّل من ذي الحجّة.
الباب الحادي والسبعون في فضل يوم عرفة.
الباب الثاني والسبعون في فضل الأضحية.
الباب الثالث والسبعون بابٌ آخر من فضل الأضحية.
الباب الرابع والسبعون في فضل الحجِّ والعمرة.
الباب الخامس والسبعون بابٌ آخر من فضائل الحجّ والعمرة.
الباب السادس والسبعون في فضل زيارة قبر النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم.
الباب السابع والسبعون في فضل الزكاة ووزر من منعها.
الباب الثامن والسبعون في فضل من بنى لله مسجدًا.
الباب التاسع والسبعون في فضل الصدقة.
الباب الثمانون بابٌ آخر من فضل الصدقة.
الباب الحادي والثمانون في فضاء الإيثار والسخاء.
الباب الثاني والثمانون في فضل الغزو والشهداء.
الباب الثالث والثمانون في وعيد شارب الخمر.
الباب الرابع والثمانون في وعيد الزاني والزانية.
الباب الخامس والثمانون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
الباب السادس والثمانون في التوبة وما جاء فيه.
الباب السابع والثمانون في فضل ذكر الله تعالى.

الباب الثامن والثمانون في البكاء من خشية الله تعالى.
الباب التاسع والثمانون في ذكر سعة رحمة الله تعالى.
الباب التسعون في حفظ اللسان وفضل الصمت.
الباب الحادي والتسعون في ذمّ الحسد.
الباب الثاني والتسعون في فضل قضاء الدين.
الباب الثالث والتسعون في شرف التواضع وذمّ الكبر.
الباب الرابع والتسعون في ذمّ الدنيا والغنى وفضل الفقر.
الباب الخامس والتسعون في الثقة في الرزق.
الباب السادس والتسعون في فضل كسب الحلال.
الباب السابع والتسعون في حسن الخلق.
الباب الثامن والتسعون في ذكر أشراط الساعة.
الباب التاسع والتسعون في النفخ في الصور.
الباب المائة في قراءة الكتب والحساب.
الباب الواحد ومائة في الممرّ على الصراط.
الباب الثاني ومائة في صفة النار.
الباب الثالث ومائة في صفة أهل الجنّة.
الباب الرابع ومائة في ذمّ النفاق.
الباب الخامس ومائة في فضل قلّة الأكل وذمّ المأكول.
الباب السادس ومائة في فضل الصحابة رضي الله عنهم.
الباب السابع ومائة في فضل السلام بمسائله وعظاته.[٢٠]

(٢٠) اعتمدنا في هذا التعداد لأبواب *روضة العلماء* على مخطوطي بورصه، أولي=

من نصوص الحكمة في *روضة العلماء*

أشرنا فيما سبق إلى حرص الزندويستيّ على ذكر الحِكم سواء بنقلها عن غيره أو بصوغها، فتكرّرت في أبواب الكتاب عبارات من مثل قوله: وقيل في الحكمة، وقال الحكماء، وسُئل بعض الحكماء عن، والحكمة في هذا الأمر كذا وكذا. ونذكر هنا بعض الأمثلة المختارة:

١ - باب آخر من برِّ الوالدين وحقوقهما ووزر عقوقهما

وقيل: ما الحكمة أنّ الوالدين أشفق على الولد من الولد على الأبوين؟ قيل: لأنّ آدم وحوّاء عليهما السلام لم يكن لهما أبوان فلم يكن لهما شفقة على الأبوين وكان لهما أولاد فوقعت شفقتهما على الأولاد، فتوارثت أولادهما كذلك إلى يوم القيامة. قال رحمه الله: ومن حقّ الأبوين ما ذكر محمّد بن الحسن رحمه الله في *السِيَر الكبير* قال: لو أنّ رجلًا له أبوان كافران فنودي بالنفير حتّى افترض الخروج على كلّ مسلمٍ فمنعاه عن الخروج نُظِرَ إن كان منعهما إيّاه شفقةً عليه جاز له أن لا يخرج ولو خرج فقد عصاهما وإن منعاه إعزازًا للكفر وإذلالًا للإسلام جاز له الخروج بغير رضاهما فهذا حال الأبوين الكافرين فكيف إذا كانا مسلمين.[٢١]

٢ - باب فضل الصوم

الحكمة في إيجاب صوم رمضان على عباده المؤمنين أنّ الملائكة

=جامع ١٧٩٧، ورشيد أفندي ١٢٦٩. وسنرمز للأوّل بـ ص، وللثاني بـ ش في توثيق الفقرات الآتية.

(٢١) *روضة*، ش ورقة ٢٠١/ أ، ص ورقة ١٦٧/ أ.

طعنت في بني آدم فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فنظرت الملائكة إلى طاعتها فافتخرت بصلاتها وصيامها وتسبيحها فقال الربّ جلّ جلاله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] أنتم يا معشر الملائكة لا تأكلون لأنّكم لا تشتهون لأنّ طبعكم أنّكم لا تأكلون ولا تشربون وطبع بني آدم أنّهم يأكلون ويشربون وهم مع حاجتهم إلى المأكول والمشروب يتركون ذلك ويصومون لأجلي وأنتم تصومون مع غناكم عن الطعام والشراب، لأنّه لا حاجة لكم إليه، فهُم أفضل منكم، فلذلك أمر عباده بالصيام ليظهر فضل الآدميّين على الملائكة. وقال مكحول الشاميّ: إنّ العباد قد أذنبوا ذنوبًا كثيرة والمعاصي لا بدّ لها من التطهير وتطهيري للعصاة وأدبي لهم بالنار، وأنا أعلم ضعفهم وأنّه لا طاقة لهم على عذاب النار فأمرتهم بالصوم في الدنيا وسلّطت عليهم نار الجوع في الدنيا لتحرق ذنوبهم فينجون من نار الجحيم.[٢٢]

٣- باب فضل ليلة القدر

قال رحمه الله: والحكمة في نزول الملائكة في هذه الليلة أنّ الملوك والسادات لا يحبّون أن يدخل دارهم أحدٌ حتّى يزيّنوا دارهم بالفرش والبسط ويزيّنوا عبيدهم بالثياب والأسلحة فإذا كان ليلة القدر أمر الربّ تعالى الملائكة بالنزول إلى الأرض لأنّ العباد زيّنوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة في الليالي ومساجدهم بالقناديل والمصابيح فيقول

(٢٢) *روضة*، ش ورقة ٢٣٥/ ب-٢٣٦/ أ، ص ورقة ١٩٧/ أ.

الربّ تعالى: ملائكتي أنتم طعنتم في بني آدم وقلتم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآية فقلت لكم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اذهبوا إليهم في هذه الليلة حتّى تروهم قائمين راكعين ساجدين، لتعلموا أنّي اخترتهم على علم منّي على العالمين.(٢٣)

٤- باب فضل يوم عرفة

وتكلّم أهل الحكمة في ذلك أنّه لِمَ جعل صوم يوم عرفة كفّارة سنتين وصوم يوم عاشوراء كفّارة سنة واحدة؟ قال: لأنّ يوم عرفة بين العيدين عيد فطر قد مضى وعيد أضحى سيجيء بعده، ويوم العيد يوم سرور ولا سرور للعبد ولا عيد له أكبر من غفران ذنوبه، فلمّا كان بين العيدين جعل صيامه كفّارة لذنوب سنتين ويوم عاشوراء بعد العيدين وهو ابتداء السنة فهو كفّارة لذنوب سنة واحدة.(٢٤)

٥- باب آخر في فضل الأضحية

قال رحمه الله: ليس الحكمة في أنّ الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح الولد في المنام ولم يوحِ عليه قال: سمعتُ الجُنَيديّ يقول: وذلك أنّه لو أمره وأوحى إليه عسى أن يتلكّأ في قبوله شفقة على ولده، فكان يأثم به ويصير مأخوذًا به، وأمر في المنام حتّى إذا تلكّأ في قبوله لا يصير به مأخوذًا شفقة من الله تعالى على نبيّه صلوات الله عليه. وآخر أنّ الله

(٢٣) *روضة*، ش ورقة ٢٣٩/ ب، ص ورقة ٢٠٠/ أ.
(٢٤) *روضة*، ش ورقة ٢٤٣/ ب، ص ورقة ٢٠٣/ ب.

تعالى أعطاه فضل الأنبياء الذين كان يوحى إليهم وأراد أن يعطيه أيضًا فضل من يرى في المنام، فإنّ من الأنبياء من كان يوصى إليه ومنهم من يرى في المنام، فأراه في المنام لينال فضل الفريقين جميعًا والله أعلم.[٢٥]

الحكمة الخليقة

حاول الزندويستيّ في *الحكمة الخليقة* الإجابة عن أسئلة العوامّ ليسكّن قلقهم ويذكّرهم بعجائب الخلق وعلل الشرائع، ففي كلّ أمر حكمة؛ ففي حيوات الأنبياء حِكم وعظات، كإلقاء موسى في البحر وهو لا يزال في المهد، واختصاص إبراهيم بالذكر في صلوات المسلمين، وفي نطق بعض المخلوقات وصمت أخرى حكمة، وفي تكريم الإنسان على سائر المخلوقات حكمة، وفي صبر أولي العزم من الرسل حكمة، وفي الكلمات والأحرف حِكم، يختصّ الله كلمة دون غيرها من الكلِم بالحكمة، وفي نسبة الولد لأبيه دون أمّه حكمة، وفي تدبير المخلوقات لمعايشها حكمة، وفي تقدير الأرزاق حكمة. يورد الزندويستيّ الفقيه المتصوّف أجوبة للأسئلة كلّها، وسواء اتّفقنا معه أم لم نتّفق، فإنّ الكشف عن أجوبته هذه يقفنا على نمط من طرائق التفكير العربيّ والإسلاميّ التي ظلّت حاضرة إلى يومنا هذا. ولعلّ مقارنة ما ذكره الزندويستيّ من حِكم بما سجّله محمّد صدّيق خان (ت. ١٣٠٧/ ١٨٨٩) في كتابه *خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان* دليل على هذا.[٢٦]

(٢٥) *روضة*، ش ورقة ٢٥٣/ ب-٢٥٤/ أ، ص ورقة ٢٠٤/ ب.

(٢٦) صديق حسن خان، *خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان* (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٤).

يشير لفظ «الخليقة» الوارد في عنوان الكتاب إلى «تمام الخَلق»، و«خلق الله»، و«الناس»، و«الطبيعة»، و«الفطرة».[٢٧]

مخطوطات *الحكمة الخليقة*

١- مخطوط الرياض، وعنوانه *رسالة في الحكمة الإلهيّة*، محفوظ في جامعة الرياض، المكتبة المركزيّة، قسم المخطوطات، وهو مدرج تحت قسم أصول الدين (رقم ٤١٢٨). يتألّف من ١٢ ورقة، يمثّل مخطوط *الحكمة* تسع ورقات منها، في كلّ واحدة ٢١ سطرًا بخطّ تعليق. والمخطوط كامل، يبدأ بالحمد لله ربّ العالمين [...] قال الشيخ الإمام أبو الحسن عليّ بن يحيى بن محمّد الزندويستيّ، ويختم بقول الناسخ «وقع الفراغ منه على يد الفقير». ويليه مختصر في الفقه يجمع بين الإمامين الأعظمين الشافعيّ وأبي حنيفة (ت. ١٥٠/ ٧٦٧) رضي الله عنهما. ولا ذكر لعنوان *الحكمة الخليقة* في بدء الكتاب (١/ أ) ولا في الخاتمة (٩/ أ). وقد فرغ الناسخ من كتابته في يوم السبت في الخامس عشر من شهر المحرّم من عام ١١٧٠ هجريّة، حسبما ذُكر في التختيم. وقد نسخه يعقوب بن الحاجي أفندي الأقسرائي. ولا نعرف شيئًا عن هذا الناسخ. وفي نهاية كلّ صفحة يمنى إشارةٌ إلى الكلمة الأولى من الصفحة التي تليها، الأمر الذي يؤكّد صحّة ترتيب الصفحات. ويجد القارئ تصحيحات بخطّ الناسخ بين الفينة والأخرى في الهوامش. غير

(٢٧) انظر *لسان العرب*، (خ، ل، ق).

أنّه لا ملاحظات في الهوامش تدلّ على مقابلة منهجيّة مع مخطوط ثانويّ. ومما يُؤسف له أنّ أوراق المخطوط أصابها أكل الأرضة فأضحى من الصعب الاعتماد عليه في قراءة النصّ وضبطه.

٢- مخطوط إسطنبول (أميري ٢-١١٨٩) ورمزنا له بـ«ت». ويتألّف من ١٦ ورقة، في كلّ واحدة منها ٢١ سطرًا بخطّ نسخ. والمخطوط كامل، يبدأ بالحمد لله ربّ العالمين [...] قال الشيخ الإمام أبو الحسن عليّ بن يحيى بن محمّد الزندويستيّ، ويختم بقول الناسخ «تمّ الكتاب المبارك بحمد الله». ولا ذكر لعنوان *الحكمة الخليقة* في بدء الكتاب (٤٧ب) ولا في الخاتمة (٦٢ب). ولا نعرف شيئًا عن ناسخ المخطوط أو تاريخ نسخه. وفي نهاية كلّ صفحة يمنى إشارةٌ إلى الكلمة الأولى من الصفحة التي تليها، الأمر الذي يؤكّد صحّة ترتيب الصفحات. ويجد القارئ تصحيحات بخطّ الناسخ بين الفينة والأخرى في الهوامش. غير أنّه لا ملاحظات في الهوامش تدلّ على مقابلة منهجيّة مع مخطوط ثانويّ. ومع ذلك تمثّل هذه النسخة المخطوط الأهمّ للكتاب نظرًا لتمامها ووضوح خطّها، ولهذا اعتمدناها أصلًا لنا.

٣- مخطوط باريس (المكتبة الوطنيّة ARABE 824)، ورمزنا له بـ«ب». يتألّف من ٨٥ ورقة، في كلّ واحدة منها ١٩ سطرًا بخطّ نسخ. يبدأ المخطوط بكتاب *السواد الأعظم* لأبي حفص الكبير (ت. ٢١٧/ ٨٣٢) على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وفي داخل المخطوط توجد إشارة على الهامش (كتاب ثانٍ)، في الورقة ٥٣،

يبدأ بالحمد لله ربّ العالمين [...] قال الشيخ الإمام أبو الحسن عليّ بن يحيى بن محمّد الزندويستيّ، حتّى الورقة ٦١، وهنا ينقطع النصّ ليستمرّ المخطوط في رواية نصّ آخر لا علاقة له بـ*الحكمة الخليقة*، ويظهر ذلك واضحًا من خلال اختلاف رسم الخطّ. ولا ذكر في هذا المخطوط لعنوان *الحكمة الخليقة* في بدء الكتاب (٥٣/أ). ولا نعرف شيئًا عن ناسخ المخطوط أو تاريخ نسخه، وإن كان النصّ الأخير الذي يختم به المخطوط مؤرّخًا في يوم الثامن من جمادى الآخرة من العام ١٠٠٩ هجريّة، على يد الفقير عبد الجواد البرلسيّ الشافعيّ.

مخطوط إسطنبول (أميري ١١٨٩)، ٤٧ب – ٤٨أ.

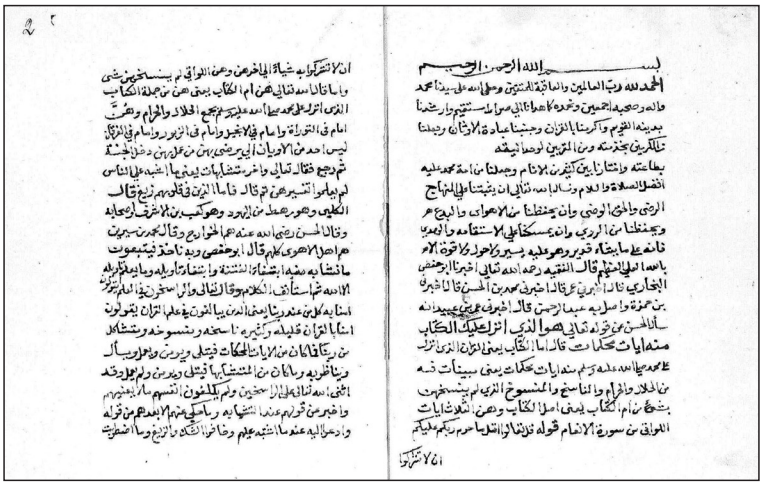

مخطوط باريس (المكتبة الوطنيّة ARABE 824)، ١ ب – ٢أ.

متن الكتاب

الحكمة الخليقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتّقين[1] وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين[2]. قال الشيخ الإمام أبو الحسن عليّ بن يحيى بن محمّد الزندويستيّ رحمه الله تعالى: قال الفقيه رحمه الله: إن قال لك قائل: ما الحكمة في موسى عليه السلام حين وُلد أُلهمت أمّه باتّخاذه في التابوت وإلقائه في اليمّ لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص:٧] الآية، ونبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم كان بين الجبال والأحجار ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم:٣٧]؟

قيل: الحكمة[3] في ذلك أنّ الله عزّ وجلّ علم في سابق علمه أنّ موسى عليه السلام يولد فظًّا غليظًا ذا عنف شديد فأمرها الله تعالى

(١) (والعاقبة للمتّقين): ت، (والعاقبة للمتّقين ولا عدوان إلّا على الظالمين): ب.

(٢) (وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين): ليست في ب.

(٣) (قيل الحكمة): ت، (فإن قيل ما الحكمة): ب.

بإلقائه في اليمّ ليرقّ قلبه ويلين فؤاده، لأنّ من طبع الماء أنّه يُليِّن كلّ شيءٍ، والذي يدلّ على أنّه كان صلبًا قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف:١٥٥] وأمّا محمّد صلّى الله عليه وسلّم فإنّه كان أصل خلقته على الرأفة والرحمة واللين والأخلاق الحميدة فوُلد بين الجبال والأحجار ليغلُظَ على الكافرين(٤) وليشتدّ عليهم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ(٥) وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣].

فإن قيل: ما الحكمة في أنّ الله عزّ وجلّ أهلك فرعون عليه اللعنة بالماء وأهلك النمرود عليه اللعنة بالبعوضة؟ قيل له: [٤٨أ] الحكمة(٦) فيه أنّ فرعون كان افتخاره بالماء، لقوله تعالى حكاية عنه ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف:٥١] وأمّا النمرود عليه اللعنة كان افتخاره بالطير وهو النسر وكان(٧) هلاكه بالطير وهي البعوضة أضعف الطير.

فإن قيل: ما الحكمة في أنّ الله تعالى جعل لكلّ مخلوق لسانًا بعضها ناطقة(٨) وبعضها غير ناطقة(٩) وليس للسمكة لسان(١٠) أصلًا لا ناطق ولا

(٤) (الكافرين): ت، (الكفّار): ب.
(٥) (الكفّار والمنافقين): ت، (المنافقين والكفّار): ب.
(٦) (قيل له الحكمة): ت، (قيل له ما الحكمة): ب.
(٧) (وكان): ت، (فكان): ب.
(٨) (ناطقة): ت، (ناطق): ب.
(٩) (ناطقة): ت، (ناطق): ب.
(١٠) (لسان): ت، (لسانا): ب.

صامت؟ قيل: الحكمة[١١] فيه أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم عليه السلام أمر الملائكة عليهم السلام بالسجود له ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [ص:٧٣-٧٤] عليه اللعنة، فأخرجه من الجنّة ومسخه ومحا اسمه من أسماء الملائكة، وكان اسمه عزازيل ويُكنّى بأبي الحارث فسمّاه إبليس لأنّه أبلسه من الخير، والشيطان مأخوذ من شَطَنَ إذا بَعُد لأنّه أبعده من رحمته، فطاف إبليس عليه اللعنة في السماوات وأخبر[١٢] من فيها بخلق آدم عليه السلام وتفضيله عليهم، ثمّ طاف في الأراضين كذلك، ثمّ جاء إلى البحار فأوّل من رأى السمكة فأخبرها بخلق آدم عليه السلام، وقال لها: إنّه مسلّط على صيد دوابّ البحر وأنعامه وهوامّه وهوامّ الأرض وسباعها، فذهبت السمكة وجعلت تخبر دوابّ البحر بخلق آدم عليه السلام أنّ الله تعالى[١٣] خلق الخلق على ثلاثة أصناف، صنف[١٤] منهم أُعطاهم اليدَين والرِّجلَين، ومنهم يمشون بالأربع كلّها وهم الدوابّ والأنعام، وخلق الطير [٤٨ب] وأعطاهم الرجلين من دون اليدين وهم الطير، وخلق آدم عليه السلام مع اليدين والرجلين فهو يمشي برجليه ويأخذ بيديه، فلا أمان لنا بعد هذا في الماء. قال: فلمّا[١٥] قالت السمكة في آدم عليه السلام ما قالت وحزنت لخلقه أذهب الله

(١١) (الحكمة): ت، (ما الحكمة): ب.
(١٢) (وأخبر): ت، (أو أخبر): ب.
(١٣) (تعالى) ليست في ب.
(١٤) (صنف) ليست في ب.
(١٥) (فلمّا): ت، (لمّا): ب.

تعالى عنها لسانها لكيلا[١٦] تسوء الأدب ولا تذكر صفته في خلق البحر بالسوء، فلذلك لم يكن لها لسان.

فإن قيل: ما الحكمة في أنّ المسلمين يؤمنون بالقضاء والقدر؟ فما هذه الملامة بعد إيماننا بالقضاء والقدر؟

قيل: الحكمة فيه لأنّ آدم عليه السلام لمّا أكل من الشجرة كان ذلك بقضاء الله[١٧] وقدره، ثمّ استحقّ من جميع أهل الجنّة الملامة، فذلك من ذلك الوقت. وحكمة أخرى أنّ الملائكة للتحذير رجاءً لقوله صلّى الله عليه وسلّم حين مرّ على حائط واهٍ[١٨] فأسرع المشي وأمر أصحابه بالسرعة، فقيل له: أليس الله تعالى قال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾؟ [التوبة:٥١] فقال عليه الصلاة والسلام: «الحذر ينفع القدر» قالها ثلاث مرّات. قيل: إنّه اشتدّ البلاء بأيّوب عليه السلام سنينًا وأشهرًا[١٩] فكان في جسده من الأكلة والدود ما لا يُحصى، فوقعت يومًا من الأيّام دودة على أرض[٢٠] فرفع أيّوب عليه السلام تلك الدودة من أرضها[٢١] وألقاها على بدنه فآلمته تلك الدودة ألمًا وصل إلى فؤاده، فقال: يا ربّ إنّ على نفسي من الدودة ما لا يُحصى ولم يصل إليّ من الوجع مثل ما وصل إليّ من هذه الدودة، فقال [٤٩أ] الله تعالى له: إنّ

(١٦) (لكيلا): ت، (لئلّا): ب.
(١٧) (الله): ت، (الله تعالى): ب.
(١٨) (واهٍ): ت، (واهي): ب.
(١٩) (وأشهرًا): ت، (وأشهر): ب.
(٢٠) (على أرض): ت، (عليّ): ب.
(٢١) (أرضها): ت، (الأرض): ب.

هذه الواحدة كانت باختيارك فصارت عقوبة عليكَ وما سواها باختياري فأصبرتكَ[٢٢] على ذلك، ألا ترى أنّ الحافظ هو الله تعالى؟ حتّى إذا أصاب واحد جراحة فإذا قصد حفظ تلك الجراحة بنفسه، فإنّه يحمل جميع الآفات، لأنّ صاحب الجراحة[٢٣] يقطع الأمل من الله تعالى فيصير عقوبة عليه.

وقيل: إنّه سقط من أيّوب عليه السلام أربع من الدود فوقعت واحدة منها في الماء فصارت علقًا والأخرى صعدت[٢٤] الشجرة فصارت[٢٥] دود القزّ والثالثة وقعت[٢٦] في المفازة فصارت سوسًا والرابعة طارت[٢٧] في الهواء[٢٨] فصارت نحلًا.

فإن قيل: ما الحكمة[٢٩] في هذه الأنعام أنّ الله خلقها مختلفًا ألوانها وخلق الوحوش لونًا واحدًا؟ قيل: الحكمة فيه أنّ الوحوش لا يملكها أحد[٣٠] إلّا الله تعالى فمالكها واحد فلا[٣١] يحتاج إلى التمييز[٣٢] وأمّا

(٢٢) (فأصبرتك): ت، (فاصبر تكن): ب.
(٢٣) (الجراحة): ت، (الجراحات): ب.
(٢٤) (صعدت): ت، (سعدة): ب.
(٢٥) (فصارت): ت، (فصارة): ب.
(٢٦) (وقعت): ت، (فوقعت): ب.
(٢٧) (طارت): ت، (طارة): ب.
(٢٨) (الهواء): ت، (الهوى): ب.
(٢٩) (فإن قيل ما الحكمة): ت، (قيل ما هذه الحكمة): ب.
(٣٠) (أحد): ت، (أحدًا): ب.
(٣١) (فلا): ت، (لا): ب.
(٣٢) (التمييز): ت، (التميز): ب.

الأنعام فالله تعالى خلقها مختلفًا ألوانها لكونها[٣٣] لبني آدم لكي يعرف كلّ إنسان ملكه فلا يقع بينهم تشاجر ومنازعة إذا نظروا في الشبه[٣٤] والصفات.

فإن قيل: ما الحكمة والفائدة في نصب الصراط أليس الله تعالى عليمًا[٣٥] بالعباد شقيّهم وسعيدهم؟ قيل: إنّما كان هذا لإظهار الشفقة[٣٦] والرحمة لمكانة أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، لأنّ الله تعالى لا يأمر الملائكة بأن يجروا ويأخذوا فلانًا[٣٧] العاصي من أمّة محمّد عليه الصلاة والسلام، ولكن يقول: ادخلوا على الصراط، فيمرّ الصالح السعيد منهم ويسقط الطالح الشقيّ منهم في النار فهذه الحكمة لئلّا يعلم أحد حال [٤٩ب] أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم من خلقه إلّا الله عزّ وجلّ.

فإن قيل: ما الحكمة في أنّ موسى عليه السلام خاف من الحيّة ولم يخف إبراهيم عليه السلام من النار؟ قيل: لأنّ الحيّة كانت[٣٨] من صنع الله تعالى، ووقود النار كان من فعل الآدميّين، فلذلك وقع الفراق بينهما.

فإن قيل: ما الحكمة في الكلب حيث ينبح على الفقير ويمزّق ثيابه ولا ينبح على الغنيّ ولا يمزّق ثيابه؟ قيل: لأنّ الكلب يأكل الحرام

(٣٣) (لكونها): ت، (للونها): ب.
(٣٤) (الشبه): ت، (الشبة): ب.
(٣٥) (عليمًا): من تصويبنا، (علمًا): ت، (عالم): ب.
(٣٦) (لإظهار الشفقة): ت، (الإظهار للشفقة): ب.
(٣٧) (فلانًا): من تصويبنا، (فلان): ت، ب.
(٣٨) (الحيّة كانت): ت، (الحيّة): ب.

والغنيّ من جنسه فهو صديقه والصديق لا يؤذي الصديق وأمّا الفقير فهو يأكل الحلال والضدّان لا يجتمعان.

فإن قيل: ما الحكمة في أنّ الكلاب يجامعون إناثهم في أوانهم من غير صياح وأنّ الهرّة تصيح في وقت الجماع؟ قيل: الحكمة فيه أنّ ذلك من وقت نوح عليه السلام، لمّا جمع[٣٩] السباع والحيوان في السفينة نهاهم عن الجماع كيلا يتوالدوا[٤٠] في السفينة فتضيق السفينة بهم فامتنعوا من ذلك كلّهم إلّا الكلب فإنّه جامع زوجته فجاءت الهرّة إلى نوح عليه السلام وأخبرته[٤١] بذلك فلامه نوح فأنكر الكلب ذلك ثمّ جامع مرّة أخرى فأخبرت الهرّة نوحًا[٤٢] عليه السلام فقال الكلب: يا نبيّ الله الهرّة تكذب عليّ. فقالت الهرّة[٤٣]: ادع الله تعالى حتّى يظهر عليهما علامة تبصرها بعينيك[٤٤] فدعا نوح عليه السلام ربّه، ثمّ إنّ الكلب جامع زوجته مرّة ثالثة فاشتدّ ذلك الأمر عليهما حتّى لم يمكنه الانفصال من صاحبه[٤٥] حتّى جاءت الهرّة وأخبرت نوحًا[٤٦] عليه السلام فجاء نوح عليه السلام وهما كذلك ومن ذلك الوقت [٥٠أ] وقعت المنازعة بين

(٣٩) (جمع): ت، (جامع): ب.
(٤٠) (كيلا يتوالدوا): ت، (كي لا يتولد): ب.
(٤١) (وأخبرته): ت، (فأخبرته): ب.
(٤٢) (نوح): في ت وب.
(٤٣) (فقالت الهرّة): ت، (فقالت يا نبيّ الله): ب.
(٤٤) (تبصرها بعينيك): ت، (تبصرهما بعينك): ب.
(٤٥) (من صاحبه): ت، (منها): ب.
(٤٦) (نوحا): ت، (نوح): ب.

الهرّة والكلب، فقال الكلب: يا ربّ اجعل الهرّة فضيحة على رؤوس الخلائق وقت الجماع كما فضحتنا[٤٧] فاستجاب الله تعالى له، فمن ذلك الوقت صياحها.

فإن قيل: ما الحكمة في أنّ مؤمنًا واحدًا أكرم على الله تعالى من الدنيا وما فيها وتُقطع يده إذا سرق عشرة دراهم أو قيمتها؟ قيل: لأنّ المؤمن خُلق بلا عيب والدنيا خُلقت معيوبة، والله تعالى أمر المؤمنين أن لا يتناولوا المعيوب كيلا يصيروا معيوبين فإذا[٤٨] أخذها صار معيوبًا فقُطعت يده حتّى يزول عنه العيب.

وحكمة أخرى وهي أنّ الله تعالى أعطى بني آدم هذه الأعضاء[٤٩] أمانةً عنده وجعله مُؤتمَنًا عليها وقال له: احفظ ودائعي فمتى ضيّعتَ الوديعة أخذتُ الوديعة، فهو إذا تناول مال الغير بالسرقة فقد ضيّع الوديعة، وإذا قتل النفس عمدًا فقد ضيّع جميع النفس، وإذا قطع الطريق على المسلمين فقد ضيّع[٥٠] يده ورجله وحلّ دمه للمسلمين بفعله.

فإن قال قائل: الصلاة من باب الإيمان أو من باب العمل؟ إنّ هذا على وجهين فإنّ الإيمان بالصلاة وبجميع الطاعات إيمان، وأمّا أداؤها فالعلم بأنّ الصلاة بأمر الله تعالى وقبول الصلاة إيمان وتحصيلها بأركانها طاعة وتركها بغير جحود ذنب ومعصية وتركها بالجحود كفر.

(٤٧) (فصحتنا): ت، (فضحتنا): ب.
(٤٨) (فإذا): ت، (وإذا): ب.
(٤٩) (هذه الأعضاء): ت، (الأعضاء): ب.
(٥٠) (قطع): ت، (ضيع): ب.

فإن قيل: وما[٥١] تفسير الصلاة؟ فقل: أركان جُمعت ووُصلت بعضها ببعض، فصار[٥٢] ذلك سببًا وصِلة إلى الله تعالى، ألا ترى أنّك تقول وصلت مع [٥٠ب] فلان؟ وإنّما سُمّيت الصلاة صلاةً لأنَّ رحمةَ الله تعالى تصل إلى صاحبها.

فإن قيل: الإيمان ظاهر أم باطن؟ فقل: الإقرار باللسان ظاهر والتصديق بالقلب باطن. فإن قيل: ما حجّة الله تعالى وما حجّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟ فقل[٥٣]: حجّة الله تعالى هو القرآن[٥٤] بالأمر والنهي، وحجّة النبيّ عليه الصلاة والسلام[٥٥] هو الإبلاغ عن الله تعالى برسالاته[٥٦]، وحجّة الخلق تسليم الإيمان إلى آخره.

فإن قيل: بم[٥٧]عرفت الله تعالى بالعقل أو بالخبر؟ فقل: ما بيّنه الرسول عن الله تعالى عرفناه بالعقل وبالخبر فإذا لم يكن لنا عقل لم نعرف بالخبر.

فإن قيل: إنّ الله تعالى يُسمّى عالمًا والعبد يُسمّى عالمًا فهل بينهما فرق؟ قيل: الفرق بينهما على ثلاثة أوجه أحدها أنّ العلم صفة الله تعالى

(٥١) (وما): ت، (ما): ب.
(٥٢) (فصار): ت، (فصارت): ب.
(٥٣) (فقل): ت، (فقيل): ب.
(٥٤) (هو القرآن): ت، (القرآن): ب.
(٥٥) (عليه الصلاة والسلام): ت، (صلّى الله عليه وسلّم): ب.
(٥٦) (برسالاته): ت، (برسالته): ب.
(٥٧) (بما): ت، (ما): ب.

غير مخلوق والعلم صفة العبد وهو مخلوق، والثاني أنّ الله تعالى لا يزال عالمًا والعبد كان جاهلًا ثمّ صار عالمًا[٥٨]، والثالث[٥٩] أنّ الله تعالى لا يزال عالمًا ولا يضلّ[٦٠] ولا ينسى والعبد يكون عالمًا فينسى.

فإن قيل: إنّ الله تعالى واحد والعبد واحد فما الفرق بينهما؟ قيل: إنّ الله تعالى واحد من غير أحد والعبد واحد من أحد يعني من الذكر والأنثى.

وحكمة أخرى أنّ الله تعالى واحد لا مع[٦١] أحد والعبد واحد مع[٦٢] أحد[٦٣] وفي رواية[٦٤] أخرى الله تعالى واحد لا كواحد منّا بل هو واحد بلا كيف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] والعبد صار واحدًا[٦٥] لأنّ الله تعالى هو الذي[٦٦] كوّنه واحدًا وهو الذي جَعل الآحاد كلّها وليس هو تبارك[٦٧] وتعالى بمجعول.

(٥٨) (والثاني أنّ الله تعالى لا يزال عالمًا والعبد كان جاهلًا ثمّ صار عالمًا): ت، ليست في ب.
(٥٩) (والثالث): ت، (والثاني): ب.
(٦٠) (لا يصل): ت، (ولا يضلّ): ب.
(٦١) (مع): ت، (في): ب.
(٦٢) (مع): ت، (في): ب.
(٦٣) (أحد) ت، (أحد يعني الأمّ والبنت وغير ذلك من الظروف): ب.
(٦٤) (وفي رواية): ت، (وحكمة): ب.
(٦٥) (واحدًا): ت، (واحد): ب.
(٦٦) (الله تعالى هو الذي): ت، (الله تعالى): ب.
(٦٧) (بتارك): ت، (تبارك): ب.

فإن قيل: ما الحكمة في موسى عليه السلام حين ناجى ربّه وكلّمه بطور سيناء وانصرف وكان عليه البرقع إلى أربعين يومًا؟ وفي بعض الروايات أنّه لم يسفر وجهه إلى آخر عمره حين[٦٨] تمنّت امرأته في آخر عمره بأن يكشف وجهه لتنظر إليه وكانت مرتبة[٦٩] نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم أرفع في ليلة المعراج وأكثر من الكرامات والتقرّب وغير ذلك وكان وجهه أشرق وأنور وأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمكنهم النظر إلى وجهه؟

قيل[٧٠]: في ذلك كلمة من الحكمة وهي قلّة يقين قوم موسى عليه السلام وكثرة شكّهم وغلبة جهلهم ألا ترى إلى قوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾؟ [الأعراف:١٣٨] والجهل إنّما يكون ظلمة وبالظلمة لا يُرى النور وإنّما يُرى النور بالنور، وأمّا محمّد صلّى الله عليه وسلّم ممّا أكرمه الله تعالى أنّه أمره بالشرائع بعد الإيمان وذلك كان من الله رحمة لأنّ الأمم السالفة كانت قد ارتدّت[٧١] بعد موت أنبيائهم وأمّة محمّد عليه الصلاة والسلام[٧٢] وأصحابه رضي الله عنهم كانت قلوبهم مملوءةً بالنور واليقين فأمكنهم رؤية وجهه صلّى الله عليه وسلّم، وأصل اليقين من النور وبالنور يُرى النور لا باليقين والشكّ جميعًا ألا ترى

(٦٨) (حين): ت، (حتّى): ب.
(٦٩) (مرتبة): ت، (مرتبت): ب.
(٧٠) (قيل): ت، (قيل له): ب.
(٧١) (قد ارتدّت): ت، (ارتدّت): ب.
(٧٢) (عليه الصلاة والسلام): ت، (صلّى الله عليه وسلّم): ب.

أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم[٧٣] لا يرتدّون بعده كما ارتدّت الأمم الماضية، لأنّه كان في إيمانهم شكّ وهم [٥١أ] لا يشكّون[٧٤] فلذلك أمرهم بالشرائع بعد الإيمان، حتّى إذا دخل النقص فيه إنّما يدخل في الشرائع لا في الإيمان، لأنّ نقصان الشرائع[٧٥] لا يوجب الكفر ونقصان الإيمان يوجب الكفر. ألا ترى أنّ أهل البخل والأهواء كلّهم مع اختلافهم واختلاف مذاهبهم أنّهم اتّفقوا على الإيمان؟

فإن قال[٧٦] قائل: هل يُؤاخذ[٧٧] أحدٌ بذنب أحد أو يُعذّب أحد بذنب أحد؟ فقل: لا يُؤاخذ[٧٨] أحدٌ بذنب أحد.

فإن قال: أليس نوحٌ عليه السلام دعا قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤] ولم يؤمن من قومه إلّا قليل منهم وإنّما الذنب لكبارهم دون صغارهم وقد دعا نوح عليهم جميعًا بقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾؟ [نوح:٢٦].

قيل: الحكمة فيه أنّ نوحًا عليه السلام لم يدع على قومه هذا الدعاء

(٧٣) (وأصل اليقين من النور وبالنور يُرى النور لا باليقين والشكّ جميعًا ألا ترى أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم): ت، ليست في ب.

(٧٤) (لا يشكّون): ت، (لا يشكّون فيّ): ب.

(٧٥) (يدخل في الشرائع لا في الإيمان، لأنّ نقصان الشرائع لا يوجب الكفر): ت، (يدخل في الشرائع لا يوجب الكفر): ب.

(٧٦) (قال): ت، (قيل): ب.

(٧٧) (يؤاخذ): ت، (يؤخذ): ب.

(٧٨) (يؤاخذ): ت، (يؤخذ): ب.

إلّا بعدما[٧٩] آيسه الله من إيمانهم لقوله[٨٠]: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود:٣٦] حينئذ[٨١] دعا عليهم لعلمه أنّه لا يؤمن بعد ذلك أحد.

فإن قيل: أيش[٨٢] الحكمة في لفظ الله تعالى؟ فقل: إنّ الله اسم، ولا تقل: إنّ الله هو إله، لأنّ الخصم يقول: إنّ الله هو لفظ[٨٣] الله إذا كتبت على لوح فيكون هو الله فإذًا يصير اسم الله كثيرًا، لكن قل بأنّ لفظ الله اسم تطمئنّ به القلوب.

فإن قيل: ما تفسير الدين؟ فقل: معرفة الطريق المستقيم، وهو الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩].

فإن قيل: ما تفسير الإيمان؟ فقل: إنّ[٨٤] الإيمان إقرارٌ بالحقّ والقبول للحقّ، كما أنّ الكفر[٨٥] ترك القبول للحقّ[٨٦] والإقرار به يعني الإقرار بالكفر [٥٢أ] بالله تعالى كذلك إقرار المؤمن يكون إيمانًا.

فإن قيل: ما الحكمة في قرص الشمس مدوّر ولا يزيد ولا ينقص

(٧٩) (بعدما): ت، (من بعدما): ب.
(٨٠) (لقوله): ت، (لقوله تعالى): ب.
(٨١) (حينئذ): ت، (فحينئذ): ب.
(٨٢) (أليس): ت، (أيش): ب.
(٨٣) (الله هو لفظ): ت، (الله لفظ): ب.
(٨٤) (إنّ): ت، (إنّما): ب.
(٨٥) (الكفر): ت، (الكافر): ب.
(٨٦) (للحقّ): ت، (بالحقّ): ب.

وقرص القمر يزيد وينقص؟ فقل: الحكمة فيه لأنّه رُوي أنّ الشمس في كلّ ليلة تصعد إلى[٨٧] تحت العرش فتسجد لله تعالى فلذلك لم تزل مدوّرة كاملة، وأمّا القمر فإنّه يتمّ[٨٨] ليلة الرابع عشر فيصعد إلى تحت[٨٩] العرش ويسجد لله تعالى ثمّ يهتمّ أنّه لا يجيء له التوبة[٩٠] إلى شهر فيذوب من الغمّ حتّى ينقص إلى آخر الشهر كما ترى، ثمّ إذا أهلَّ الهلال فإنّه يزيد كلّ ليلةٍ فرحًا فإذا تمّ وكمل يسجد[٩١] لله تعالى.

وحكمة أخرى أنّ الله تعالى جعل معرفة الشهور بالأهلّة لقوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس:٥] فجعل ذلك في القمر ولم يجعله في الشمس فلو كان القمر أبدًا مدوّرًا أشكل على الناس معرفة السنين والشهور، فلذلك لم يتركه على حالة واحدة.

فإن قيل: ما قولك فيمن دعا ضيفًا إلى داره ثمّ قال: صاحب الدار للضيف لِم حضرت[٩٢] منزلي هذا؟ فقال الضيف: إنّما جئتك طلبًا لرضاك[٩٣]. فقال[٩٤] له صاحب الدار: إنّك طلبت رضائي وإنّي بعثت

(٨٧) (تصعد إلى): ت، (تصعد): ب.
(٨٨) (يتمّ): ت، (يتمّ له): ب.
(٨٩) (إلى تحت): ت، (تحت): ب.
(٩٠) (التوبة): ت، (النوبة): ب.
(٩١) (يسجد): ت، (سجد): ب.
(٩٢) (حضرت): ت، (حضرة): ب.
(٩٣) (طلبًا لرضاك): ت، (طالبًا رضاك): ب.
(٩٤) (فقال): ت، (قال): ب.

من يغير[٩٥] منزلك ويسلب أموالك أليس هذا جفاءً من ربّ الدار إلى الضيف؟ فقل: نعم.

فإن قال: أليس قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:٨٣] أي من أعجلك يا موسى حيث صعدت الجبل قبل قومك؟ قال موسى عليه السلام: إنّما أعجلت[٩٦] إليك يا ربّي طلبًا[٩٧] لرضاك. قال له ربّه: إنّا[٩٨] قد فتنّا قومك حتّى عبدوا العجل فكيف يكون هذا؟ وما الفائدة؟

قيل: لأنّ قبل صعوده[٩٩] [٥٢ب] للجبل جاءت منه ذلّة لأنّه لم يفوّض أمره إلى الله تعالى، وذلك لأنّه قال لأخيه هارون: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف:١٤٢] ففوّض أمر قومه إلى هارون[١٠٠] عليه السلام واعتمد عليه ولم يفوّض أمرهم[١٠١] إلى الله تعالى ليكون هو الخليفة على قومه والحافظ لهم فلمّا أشار إلى هارون أراه[١٠٢] الله ربوبيّته أنّ كلّ من اعتمد على أحد من المخلوقين سوى الخالق يصير ذلك وبالًا ونقمةً عليه ليعلم العباد أنّه لا يستطيع أحدٌ حفظ الخلق سوى الله تعالى.

(٩٥) (يغير): ت، (يعبر): ب.
(٩٦) (أعجلت): ت، (عجلت): ب.
(٩٧) (طلبًا): ت، (طالبًا): ب.
(٩٨) (إنّا): ت، (فإنّا): ب.
(٩٩) (صعوده): ت، (الصعوده): ب.
(١٠٠) (ففوّض أمر قومه إلى هارون): ت، (فقد فوّض أمره إلى هارون): ب.
(١٠١) (أمرهم): ت، (أمره): ب.
(١٠٢) (أراه): ت، (أمر): ب.

ونظير ذلك ما رُويَ أنّ قارون عليه اللعنة استغاث بموسى عليه السلام مرارًا فلم يغثه فقال له ربّه عزّ وجلّ: لو[١٠٣] استغاث بي مرّة واحدة[١٠٤] لأغثته فلهذا لم أغثه حين يستغيث مخلوقٌ[١٠٥] بمخلوق مثله[١٠٦] ويترك خالقًا مثلي.

فإن قيل: ما الحكمة في قول يعقوب عليه السلام ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤]؟ قيل: الحكمة فيه أي يا يوسف أنت الذي تعلّقتُ بمحبّتك قليلًا أورثتني حزنًا طويلًا. ونظير ذلك أنّ مريم ابنة[١٠٧] عمران رضي الله عنها قبل وضعها عيسى عليه السلام كان يجيء إليها الطعام مهيّأً من غير مشقّة ولا تكلّف، وهو معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران:٣٧] قال: فلمّا وضعت عيسى عليه السلام دخل في قلبها محبّته، حتّى قال لها ربّها عزّ وجلّ: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم:٢٥] فأمرها بتحريك الشجرة والأكل بكسب يدها وإنّما كان ذلك لأنّها قبل الولادة لم يكن في قلبها إلّا[١٠٨] محبّة الله تعالى فلمّا ولدت عيسى عليه السلام دخل في قلبها محبّته فبذلك عاقبها الله تعالى بأن تأكل بالمشقّة [٥٣أ] والكلفة حتّى يعلم العباد أنّه لا يجوز لأحد أن يشغل قلبه عن المولى طرفة عين.

(١٠٣) (لو): ت، (لو لو): ب.
(١٠٤) (مرّة واحدة): ت، (مرّة): ب.
(١٠٥) (مخلوق): ت، (مخلوقا): ب.
(١٠٦) (بمخلوق مثله): ت، (بمخلوق): ب.
(١٠٧) (ابنة): ت، (بنت): ب.
(١٠٨) (إلّا): ت، (إلى): ب.

فإن قيل: بأيّ سبب وجد يعقوب فراق يوسف عليهما السلام؟ قيل: اختلف العلماء فيه فقال بعضهم: كان عند يعقوب اللحم فاشتهت من ذلك امرأة حبلى فقال لها يعقوب عليه السلام: فإنّي أبعث إليك فنسي ولم يبعث لها فسقطت من شهوتها فابتُلي يعقوب بسببها بحبّ يوسف وفراقه.

وقال بعضهم: إنّ يعقوب اشتهى اللحم ولم يكن عنده إبل ولا بقر ولا غنم في ذلك الوقت سوى بقرة معها ولدها فذبح يعقوب ذلك العجل بين يدي[١٠٩] البقرة فعاقبه الله تعالى بمفارقة يوسف أربعين سنة. وقيل غير ذلك ليعلم أنّ الله يحبّ الرحمة ولذلك قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّما يرحم الله من عباده الرحماء».

ونظير ذلك أنّه قيل له: إنّ إبراهيم عليه السلام كان سخيًّا ومن سخاوته أنّه كان يذبح الإبل والبقر والغنم بين يدي الأضياف ما لا يُحصى وأنّه ذبح بين يدي جبريل وميكائيل ودردائيل عليهم السلام عجلًا حين أرادوا تخريب قرى قوم لوط عليه السلام. قيل: إنّه لم يكن عنده غيره. وقيل: إنّ إبراهيم عليه السلام وسارة رضي الله عنها كانا قد كبرا ولم يرزقا[١١٠] ولدًا فرئيا[١١١] ذلك العجل فوقع[١١٢] لهما على ذلك العجل شفقة الأولاد فلمّا نزل بهما[١١٣] الضيفان مثل هؤلاء الأضياف قال

(١٠٩) (بين يدي): ت، (بين): ب.
(١١٠) (يرزقا): ت، (يرزق): ب.
(١١١) (ولدًا فرئيا): ت، (ولدًا): ب.
(١١٢) (فوقع): ت، (فوقعا): ب.
(١١٣) (بهما): ت، (بهم): ب.

إبراهيم لسارة: ليس عندنا شيء أعزّ من هذا العجل فنذبحه ونقدّمه[١١٤] إليهم فذبح[١١٥] إبراهيم عليه السلام ذلك العجل فلمّا علم الله من قلبه ذلك اليقين بدّله الله تعالى مكان ذلك[١١٦] العجل إسحاق عليه [٥٣ب] السلام. ألا ترى أنّ الملائكة بشّرته في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨] وبقوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات:١١٢] وصار سبيله سبيل ما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]. وقيل: كان نزل عند يعقوب ضيفان[١١٧] فقيران وكان قد صنع لهما طعامًا وكان يوسف عليه السلام نائمًا والضيفان تقاولا وتخاصما[١١٨] فطردهما يعقوب عليه السلام حتّى لا ينتبه يوسف من خصامهما فلأجل[١١٩] طردهما قبل الإطعام ابتلاه الله[١٢٠] بفراق يوسف عليه السلام.

فإن قيل: ما الحكمة أنّ الرجل إذا كبر سنّه وشاخ حسن وجهه وشبّهَه[١٢١] الناس بالملائكة والمرأة إذا كبرت وعجزت قبح وجهها وشبّهها الناس بالشيطان[١٢٢]؟ قيل: الحكمة فيه أنّ أصل خلقة المرأة من

(١١٤) (ونقدّمه): ت، (وتقدّمهم): ب.
(١١٥) (فذبح): ت، (فذبحه): ب.
(١١٦) (مكان ذلك): ت، (مكان): ب.
(١١٧) (ضيفان): ت، (ضيفا): ب.
(١١٨) (وتخاصما): ت، (وتخصما): ب.
(١١٩) (فلأجل): ت، (فلمّا): ب.
(١٢٠) (الله): ت، (الله تعالى): ب.
(١٢١) (وشبّهه): ت، (وشبّه): ب.
(١٢٢) (بالشيطان): ت، (بالشياطين): ب.

اللحم لأنّ حوّا رضي الله عنها[١٢٣] خُلقت من يسار آدم عليه السلام من جانبه الأيسر واللحم يفسد بمضيّ الأيّام، وأمّا أصل خلقة آدم عليه السلام من التراب والتراب لا يفسد بمضيّ الأيّام بل يصير[١٢٤] أحسن ما كان.

فإن قيل: ما الحكمة في أنّ الولد يُنسب لأبيه ولا يُنسب إلى أمّه؟ قيل: الحكمة فيه أنّ الولد يُخلق من ماءين ماء الرجل وماء المرأة فماء المرأة يُنبِت الحسن والجمال والسمن والهزال وهذه الأشياء قد تدوم وقد لا تدوم بل تزول عنه ولا ينتسب[١٢٥] إليها لأنّ ما كان منها لم يكن[١٢٦] عمريًّا[١٢٧] وأمّا[١٢٨] الرجل فإنّه ينبت العظم والعروق والعصب، ومثل هذه الأشياء لا تزول عن الخلق ما دام حيًّا، فأُضيف الولد إلى ما كان منه الآلة الصلبة [٥٤أ] العمريّة فلذلك يُنسب الولد إلى الأب دون الأمّ.

قال الفقيه: سألت أحمد ابن الجنديّ[١٢٩] ما الحكمة أنّ أبا بكر رضي الله[١٣٠] عنه كان أوّل الصحابة بالخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه

(١٢٣) (رضي الله عنها): ت، (عليها السلام): ب.
(١٢٤) (يصير): ت، (كان يصير): ب.
(١٢٥) (ينتسب): ت، (ينسب): ب.
(١٢٦) (ما كان منها لم يكن): ت، (ما يكون منها ما كان): ب.
(١٢٧) (عمريّ): ت وب.
(١٢٨) (وأمّا): ت، (وأمّا ماء): ب.
(١٢٩) لعلّه أبو بكر أحمد بن الحسن بن محمّد المعروف بابن الجنديّ، محدّث صدوق، ت ٤٣٥ هـ.
(١٣٠) (الله): ت، (الله تعالى): ب. أبو بكر الصدّيق، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيميّ القرشيّ، أوّل الخلفاء الراشدين، ت ١٣ هـ.

وسلّم وكان عليّ رضي الله عنه[١٣١] رابعهم؟ قيل الحكمة فيه لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دعا[١٣٢] أبا بكر رضي الله عنه إلى الإسلام فأجابه من ساعته من غير حجّةٍ ولا تراخٍ ولا واسطةٍ ودعا عليًّا[١٣٣] رضي الله عنه إلى الإسلام فقال: حتّى أستأذن والدي، ثمّ مشى أربعة أقدام متوجّهًا إلى والده ثمّ ندم فرجع وأسلم فمشيه أربعة أقدام صار رابعهم في الخلافة.

فإن قيل: ما الحكمة في قول النبيّ عليه الصلاة والسلام: «إنّ الله تعالى يعطي المال لمن يحبّ ولمن لا يحبّ ولا يعطي الإيمان إلّا لمن يحبّ» لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦]؟ قيل فيه: إنّ الإيمان عطاء وهديّة والهديّة لا تكون إلّا للحبّ فلذلك أعطى الحبيب وأحرم البغيض. فإن قال لك قائل: أعطاك الله الإيمان ولم يعط الكافر؟ فقل: نعم. فإن قال: هذا جَور فقل: لا يكون جورًا[١٣٤] ولكن من أُعطي الإيمان فبفضله[١٣٥] ومن لم يُعط[١٣٦] الإيمان فبعدله والإيمان والخلق كلّه[١٣٧] له ﴿ذَلِكَ[١٣٨] فَضْلُ

(١٣١) أبو الحسن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب الهاشميّ القرشيّ، رابع الخلفاء الراشدين، ت ٤٠ هـ.

(١٣٢) (قيل الحكمة فيه لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دعا): ت، (دعي): ب.

(١٣٣) (عليّ): ت وب.

(١٣٤) (جورًا): ت، (جور): ب.

(١٣٥) (فبفضله): ت، (بفضله): ب.

(١٣٦) (ومن لم يعط): ت، (ولم يعطى): ب.

(١٣٧) (كلّه): ت، (كلّهم): ب.

(١٣٨) (ذلك): ت، (وذلك): ب.

اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الجمعة:٤] فيعطي البعض بغير سؤال والآخر بعد سؤال[١٣٩] ولا يتهيّأ أن يُقال: إنّ الكافر سأل ربّه الإيمان ومُنِعَه فإنّ الجور من الله تعالى محال، لكن إنّما جاز[١٤٠] منع الحقّ[١٤١] من العبد حيث امتنع من قبول الإيمان بعدما ثبتت[١٤٢] الدلائل والبراهين والحجج الواضحة، فلذلك استوجب العقوبة والملامة.

فإن قال قائل من النصارى: هل تؤمن بعيسى؟ فقل: أيّ عيسى تعني وتريد؟ فإن أردت عيسى الذي بشّر بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم فإنّي مؤمن به، فإن هو قال: نعم فإنّه يصير مؤمنًا بهذا القول، فإن قال: لا فقل: إنّي بريء منه، فإنّه لم يكن نبيًّا، لأنّ عيسى عليه السلام قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦] وكذلك اليهود لا يجب إجابتهم على الإطلاق.

فإن قلت لمجوسيّ: [١٤٣] لِمَ تعبد النار؟ فقال المجوسيّ: كما أنت تعبد الحيطان والسارية والبيت. فقل: نحن لا نعبد الحيطان والسارية والبيت[١٤٤] وإنّما نعبد الله تعالى وإنّما جعلنا البيت قِبلة. فإن قال: ونحن أيضًا[١٤٥] جعلنا النار قبلة فقل: إنّي بريء من عبادة البيت والحيطان،

(١٣٩) (سؤال): ت، (السؤال): ب.
(١٤٠) (جاز): ت، (جاء): ب.
(١٤١) (الحقّ): ت، (الخلق): ب.
(١٤٢) (ثبتت): ت، (ثبت): ب.
(١٤٣) (لمجوسيّ): ت، (لمجوس): ب.
(١٤٤) (والسارية والبيت): ت، (والبيت): ب.
(١٤٥) (ونحن أيضًا): ت، (ونحن): ب.

فهل أنت بريء من عبادة النار؟ فإن قال: بلى، فقد أسلم، وإن قال: لا فقد[١٤٦] تبيّن أنّه يعبد النار والمسلم يعبد[١٤٧] الله تعالى. وكذلك إن قال لك يهوديّ أو نصرانيّ: هل تؤمن بالتوراة أو بالإنجيل؟ فقل لهما: إن كانت التوراة والإنجيل اللذين مكتوب فيهما محمّد صلّى الله عليه وسلّم وصفته فأنا[١٤٨] مؤمن بهما وإن كان غيرهما فلا، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فإن قيل[١٤٩]: ما الحكمة أنّ النملة تجعل الشعير والحنطة نصفين وتجعلهما تحت الأرض وتجعل الكزبرة[١٥٠] ثلاثة أثلاث؟ قيل فيه: إنّ الحنطة وغيرها من الحبوب إذا جُعل نصفان[١٥١] لا ينبت والكزبرة[١٥٢] إذا جُعلت نصفان[١٥٣] تَنْبُت وإذا جعلت ثلاثة أثلاث لا تنبت فلذلك تفعل هكذا.

فإن قيل: بِم علمت النملة أنّ سليمان عليه السلام وجنوده يحطمهم [٥٥أ] حتّى قالت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ[١٥٤]

(١٤٦) (فقد): ت، (فإنّه قد): ب.
(١٤٧) (يعبد): ت، (يعبدوا): ب.
(١٤٨) (فأنا): ت، (أنا): ب.
(١٤٩) (قيل): ت، (قال): ب.
(١٥٠) (الكزبرة): ت، (الكثبرة): ب.
(١٥١) كذا في ت وب، وصوابه: نصفين.
(١٥٢) (والكزبرة): ت، (والكثبرة): ب.
(١٥٣) كذا في ت وب، وصوابه: نصفين.
(١٥٤) عند هذا الموضع انتهت نسخة ب.

سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ [النمل:١٨] الآية؟ قيل: إنّ الذي ألهمها أن تجعل الحبّ نصفين غير الكزبرة وتجعل الكزبرة ثلاثة أثلاث ألهمها ذلك وما يشبه ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل:٦٨] يعني ألهمها كذا هاهنا.

فإن قيل: لِم خلق الله هذه الدنيا؟ فنقول عن ذلك أجوبةً: أحدها إنّ الله تعالى علم في سابق علمه أنّه يخلق الدنيا فخلقها حتّى وفى بما علم. والثاني إنّما خلقها لتظهرَ قدرته. والثالث إنّما خلقها ليظهر عابد الأوثان من عابد الرحمن فخلق الخلق وخلق الدنيا وجعل الخلق نصفين وخلق لهم دارين الجنّة والنار فذهب المطيع منهم بطاعته وإيمانه إلى الجنّة وذهب الطاغي منهم بكفره وطغيانه إلى النار والفضل من الله تعالى. وتفسير الفضل منه سبحانه وتعالى أن يُري المؤمنين العذاب ولا يعذّبهم والعدل أن يُري الكافرين النار ويعذّبهم. وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام: «إنّ سنّتي مائة وستّ وثمانون[١٥٥] فاستعملوها كلّها تنالوا شفاعتي وتدركوا رضا الله تعالى لتدخلوا الجنّة وإن لم تستطيعوا الكلّ فلا بدّ من استعمال الستّ[١٥٦] فإنّ من استعملها وجدني ومن لم يستعملها لم يجدني ومن لم يجدني لم يدخل الجنّة. أوّلها العلم فإنّه رأس مالي، الثاني الصلاة فإنّها قرّة عيني، الثالث الصوم فإنّه ثمرة فؤادي، الرابع القرآن فإنّه جلاء[١٥٧] همّي، الخامس الغزو فإنّه حرفتي، السادس

(١٥٥) في الأصل: وستّة وثمانين.
(١٥٦) في الأصل: الستّة.
(١٥٧) في الأصل: جلي.

الفقر فإنّه اختباري». ثمّ قال: «اجتهدوا بمحافظة اثنتي عشرة ركعةً في كلّ يوم وليلة اثنين في الصلوات الخمس المكتوبات فإنّ جبريل أخبرني أنّك يا محمّد وأمّتك إذا أردتم أن تدركوا ثواب الأنبياء عليهم السلام والمرسلين قبلك فواظبوا على هذه الاثنتي عشرة ركعة». فأمّا الأربع قبل الظهر فإنّها صلاة آدم عليه السلام وصلّاها في ذلك الوقت شكرًا لقبول توبته وأمّا الركعتان بعد الظهر فصلّاهما إبراهيم عليه السلام شكرًا لسلامته من النار ونجاته منها وأمّا الركعتان بعد المغرب والركعتان[١٥٨] بعد العشاء الآخرة قبل الوتر صلّاهما موسى عليه السلام شكرًا لمّا كلّم الله تعالى بطور سيناء وأمّا الركعتان قبل الفجر صلّاهما عيسى عليه السلام على سطح بيت المقدس حين عُرج به إلى السماء شكرًا لنجاته من اليهود وقد صلّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم هذه الصلوات وأمر أمّته بأدائها وأمّا الوتر وهي لنبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم خاصّةً هديّة من الله تعالى لم تكن لأحد قبله تُعطى أمّته بالركعة الأولى تكميل ثواب نقصان صلاتهم في يومهم ذلك وبالركعة الثانية يمسكهم على الهدى ويخرجهم به من الدنيا وبالركعة الثالثة ييسّر عليهم سؤال منكر ونكير في قبورهم وينوّر عليهم مضاجعهم ويبعثهم يوم القيامة بيض الوجوه.

فإن قيل: كيف تعرف أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم رسول الله إلى المؤمنين أم إلى الكافرين؟ فقل: بأنّه صلّى الله عليه وسلّم رسول الله إلى الناس كافّةً بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨] أمره الله تعالى بإبلاغ رسالته فبلّغ الرسالة وكان نبيًّا للمؤمنين

(١٥٨) في الأصل: الركعتين.

مع الحجّة والإجابة وكان نبيًّا على الكافرين [٥٦أ] مع الحجّة بغير إجابة ومن ادّعى بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نبيًّا[١٥٩] فهو كذّاب لقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠] وكما حُكي أنّ رجلًا في زمن أبي يوسف القاضي[١٦٠] رحمه الله خرج وادّعى النبوّة فقيل لأبي يوسف فأحضره فلمّا أحضره قال: أنت الذي تدّعي النبوّة قال: نعم فأمر بقتله قال الرجل: حتّى آتي بحجّة فقال القاضي: اقتلوه فقتلوه فقيل للقاضي: أمرت بقتله وهو كان يقول: آتي بحجّة فقال القاضي: صحّ عندنا أنّ محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم خاتم النبيّين ولو اشتغلت بسماع حجّته كفرت بما أنزل الله تعالى على محمّد عليه الصلاة والسلام فلذلك أمرت بقتله. وقد رُوي في الخبر أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «يخرج بعدي ثلاثون كذّابًا يدّعون النبوّة».

فإن قيل: ما الحكمة أنّ الله تعالى قدّر أرزاق العباد فالكسب والاجتهاد لماذا؟ قيل: من قبل ستّة أشياء أحدها أنّ آدم عليه السلام لمّا خرج من الجنّة أُمر بالاكتساب ليتعب في ذلك فيكون كفّارةً له فلمّا وجب له الاكتساب بزلّة واحدة فنحن أولى أن نكتسب ونجتهد حتّى يكون ذلك كفّارةً لخطايانا، والثاني إنّ في الكسب من الحلال درجات يوم القيامة يدلّ على هذا ما سمعت من الشيخ الإمام أبي[١٦١] محمّد عبد الله بن

(١٥٩) في الأصل: نبينا.

(١٦٠) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب القاضي الأنصاريّ الكوفيّ البغداديّ، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه، وأوّل من نشر مذهبه، كان فقيهًا علّامة، من حفّاظ الحديث، وليَ القضاء ببغداد أيّام المهديّ والهادي والرشيد، ت ١٨٢ هـ.

(١٦١) في الأصل: أبا.

الفضل[١٦٢] رحمه الله يرويه عن أبي هريرة[١٦٣] رضي الله عنهما وأنس بن مالك[١٦٤] قالا: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لولا أنّي أخاف تغيّر الأحوال وإلّا لشهدت لأربعة نفر بالجنّة وتسوية درجاتهم مع عليّ بن أبي طالب أوّلهم امرأة مات عنها زوجها ولها منه ولدان ذكران أو انثيان فخُطبت فلم تتزوّج لمكان تربية [٥٦ب] أولادها حتّى كبروا والثاني امرأة وهبت صداقها لزوجها لأجل الله تعالى والثالث من قام بين يدي والديه تبجيلًا لهما والرابع من اكتسب مالًا من حلال وأنفق على حلال وبات معها وجامعها ومات في تلك الليلة قبل أن يغتسل فهو في الجنّة».

فإن قيل: هل تنام أهل الجنّة في الجنّة؟ فقل لا. فإن قيل: لم والنوم راحة وفيه لذّة وهي في الجنّة أولى؟ فقل لا ينامون لأنّ النوم راحة والاستراحة لا تكون إلّا من التعب والعياء والجنّة ليست محلّ التعب والعياء وإنّما هي محلّ الراحة والراحة لا تكون من الراحة، والثاني إنّما يحتاج إلى النوم من به مرض أو وجع ليذهب عنه ثقل المرض والوجع وليس في الجنّة موضع المرض والوجع، والثالث إنّ الجنّة ونعيمها خُلقا لأهلهما[١٦٥] على التأبيد فلو نام لزالت عنه الجنّة ونعيمها بذلك

(١٦٢) لعلّه أبو محمّد عبد الله بن الفضل بن جعفر الورّاق، من أهل دير العاقول، نزل بغداد وحدّث بها، أحاديثه مستقيمة، ت بعد ٣٢٨ هـ.

(١٦٣) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسيّ اليمانيّ، صحابيّ من المحدّثين المكثرين، ت ٥٨ هـ (وورد ٥٩ هـ).

(١٦٤) أبو ثُمامة (وورد أبو حمزة) أنس بن مالك النجّاريّ الخزرجيّ الأنصاريّ، صاحب رسول الله وخادمه، ت ٩٣ هـ.

(١٦٥) في الأصل: خُلقت لأهلها.

ولا يجوز زواله قطّ ساعة واحدة، والرابع إنّ النوم كالموت لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام:٦٠] الآية وأهل الجنّة لا يُتوفّون كذلك لا ينامون.

فإن قال قائل: كيف نزل الوحي من السماء وفي كم وجه قد نزل؟ فقل نزل على ثلاثة أوجه الإخبار عن السلف الماضية المتقدّمة وعن المتعقّبة والمتأخّرة مثل يوم القيامة والجنّة والنار والحساب وسؤال منكر ونكير وبيان ما جحد به الكافرون من قبول الإيمان وتكذيبهم إيّاه.

والإيمان على أربعة أوجه مجبور ومعصوم وعارية ومتتابع. أمّا الإيمان المجبور فإيمان الملائكة عليهم السلام خلقهم الله تعالى لعبادته من غير كلفة ولا مشقّة قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ [٥٧أ] لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠] وأمّا المعصوم فإيمان الأنبياء عليهم السلام خلقهم الله تعالى واصطفاهم لرسالته وجعلهم خلقًا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣] وأمّا العارية فهو أن يرتدّ بعد الإيمان فنعوذ بالله تعالى لقوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٦] وأمّا المتتابع فهو إيمان المؤمنين لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٤].

فإن قال قائل: هل يعمل أحد عملًا بغير قضاء الله تعالى؟ فقل لا. فإن قال: إن كان العبد يذنب بقضاء الله فالعقوبة لماذا؟ فقل إنّ إظهار القضاء مع فعل العبد بالمعصية لأنّ القضاء لا يجبر العبد وإنّما استوجب العبد باختيار العبد المعصية والثواب يستوجب باختياره الطاعة بالقضاء.

قال الفقيه رحمه الله: سألت الإمام أبا بكر محمّد بن الفضل[١٦٦] رحمه الله قلت له: ما قولك الفقير الصابر أفضل أم الغنيّ الشاكر؟ فقال: الفقير الصابر أفضل لأنّ الفقر بنفسه طاعة وقربة لأنّه يصيبه الضرّ بالفقر كالمرض سواء فكان بنفسه طاعة فإذا ضمّ إليه الصبر صار قربةً أخرى وأمّا الغنى فهو ليس بقربة وطاعة ما لم يضمّ إليه الشكر كالصحّة سواء فالشكر مع الغنى قربة واحدة والفقر مع الصبر قربتان فكان الفقر أفضل.

وسألت عنها الشيخ الإمام عبد الله بن الفضل رحمه الله فقال: الفقر أفضل لأنّ الناس يشتهون الفقر عند اليأس ولا يشتهون الغنى عند اليأس فوجب أن يكون أفضل، ألا ترى أنّ الناس لمّا اشتهوا الإسلام عند اليأس كان الإسلام أفضل، قال الله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا [٥٧ب] لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢].

فإن قيل: كم السنن التي أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولم يفعله؟ قيل: ثلاثة[١٦٧] أحدها أمر بالختان ولم يفعله بنفسه لأنّه وُلد مختونًا حتّى لا يكون لأحد أن ينظر إلى عورته ورُوي عن كعب الأحبار[١٦٨] رضي الله عنه أنّه قال: إنّا وجدنا في بعض الكتب أنّ عشرةً من الأنبياء ولدوا مختونين آدم وشيث وإدريس ونوح ولوط وإسماعيل ويوسف وزكريّا

(١٦٦) لعلّه أبو بكر محمّد بن الفضل الكَمارِيّ البخاريّ الحنفيّ، إمام فقيه فاضل، وردَ نيسابور وأقام بها متفقّهًا ثمّ قدمها حاجًّا فحدّث بها، وكتب ببخارى وعُقد له مجلس الإملاء، من تصانيفه الفوائد في الفقه، ت ٣٨١ هـ.

(١٦٧) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: ثلاث.

(١٦٨) أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميريّ المعروف بكعب الأحبار، تابعيّ، كان في الجاهليّة من كبار علماء اليهود، أسلم في زمن أبي بكر الصدّيق، ت ٣٢ هـ.

وعيسى ومحمّد صلوات الله عليهم أجمعين، والثاني أمر ببرّ الوالدين ولم يفعله لأنّه لم يدركهما بالغًا والثالث أمر بالأذان ولم يؤذّن بنفسه وإنّما لم يؤذّن لأحد معنيَيْن[١٦٩] لأنّه لو أذّن لقال الكفّار: إنّ محمّدًا يشهد أنّه رسولٌ بنفسه، والثاني أنّه لو أذّن لكان يقول حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة فيصير الحضور فرضًا[١٧٠] على كلّ مسلم من المريض والعبد والمسافر والمرأة ومن كان يتخلّف بعد ندائه يصير عاصيًا لله ورسوله لأنّ معناه هلمّوا إلى الصلاة فلذلك لم يؤذّن بنفسه.

فإن قيل: ما الحكمة في الحديث أليس رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «تنام عيناي وقلبي لا ينام» وأنّه كان ينام ولا يجدّد الطهارة إلّا من حدث ظاهر، وجاء في الخبر حين انصرف من غزوة تبوك أنّه نزل واديًا فقال: «من يحرسنا الليلة؟ فقال بلال رضي الله عنه[١٧١]: أنا أحرسكم ثمّ ناموا كلّهم حتّى طلعت الشمس»، ففي الخبر ما أيقظهم إلّا حرّ الشمس فما معناها؟

قال: تأويل الخبر في الوادي حيث غلب عليهم النوم إنّما كان ذلك من النبيّ [٥٨أ] صلّى الله عليه وسلّم حيث قال: من يحرسنا، فكان ذلك الوقت معتمدًا على بلال مخلوق مثله فلذلك استقبلته المحنة تلك الليلة

(١٦٩) في الأصل: معينين.

(١٧٠) في الأصل: فرض.

(١٧١) أبو عبد الله (وورد أبو عبد الكريم أو أبو عمر) بلال بن رَباح الحَبَشيّ، مؤذّن النبيّ وخازنه على بيت ماله، كان من السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلّها، ت ٢٠ هـ.

لئلّا يفعل ذلك بعدها، ألا ترى أنّ الله تعالى قال: يا محمّد لو فوّضت أمرك لحفظتك وأيقظتك وقت صلاتك فحين فوّضت أمرك إلى مخلوق مثلك ضيّعتك. وهذا كما قال الله تعالى في قصّة يوسف ويعقوب عليهما السلام: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف:١٣] فسلّمه إلى إخوته فضيّعوه وحين سلّم ابنه بنيامين إلى خالقه فقال: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [يوسف:٦٤] الآية ردّ الله تعالى ابنه بنيامين مع يوسف عليهما السلام حتّى عاتبه الله تعالى فقال: يا يعقوب سلّمت يوسف إلى إخوته فضيّعوه وسلّمت بنيامين إليّ فرددته عليك مع أخيه لتعلم أنّه لا ينبغي أن يُسلّم مخلوق إلى مخلوق مثله بل يُسلّم مخلوق إلى الخالق. وأمّا بلال رضي الله عنه غلب عليه النوم لأنّه رأى اليقظة في نفسه ولم يقل إن شاء الله فاعتمد على نفسه فضيّعه الله تعالى حتّى استحقّ الملامة من نبيّه صلّى الله عليه وسلّم.

فإن قيل: ما الحكمة في خروج آدم عليه السلام من الجنّة؟ قيل: لأجل الكفّار ولأنّ الجنّة طاهرة وآدم عليه السلام طاهر وكان في ظهره المسلمون والمشركون فأحبّ الله أن يميز الخبيث من الطيّب ثمّ يُذهب آدم عليه السلام مع أولاده المؤمنين الطاهرين إلى الجنّة ويُذهب الكفّار إلى النار.

فإن قيل: ما الحكمة في المائعات التي من الإنسان [٥٨ب] كالعين والأنف والفم والقبل والدبر أنّ الخارج منها لا يكون حدثًا إلّا ما خرج من القبل والدبر؟ قيل: إنّ آدم عليه السلام لمّا أكل من الشجرة طارت

عن بدنه الحلل فعلم أنّه قد أخطأ فبكى فسال الماء من عينيه وفمه وأنفه وأذنه في الجنّة فلم يكن ذلك حدثًا لأنّ الجنّة ليست بمكان الحدث فلمّا حصل في الدنيا بال وتغوّط فصار حدثًا لأنّ الدنيا بحذافيرها حدث إذا تأمّلتها وجدتها.

فإن قيل: ما الحكمة أنّ المسلم يخلد في الجنّة والكافر يخلد في النار ما الفرق بينهما؟ فقل: لأنّ نيّة المسلم وإن خلد في الجنّة أن يكون مسلمًا يوحّد الله تعالى ونيّة الكافر لو خلد في النار يعيش كافرًا فيعامل كلّ فريق على حسب حاله.

قال الفقيه رحمه الله: اعلم أنّ العلم قبل الإيمان لأنّ الله تعالى قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمّد:١٩] وليس كلّ علم يكون إيمانًا لأنّ تفسير الإيمان أن تعرف الله تعالى بلا كيف وأمّا العلم فهو الوقوف على كلّ شيء وليس كلّ علم يكون إيمانًا ويكون الإيمان بالله تعالى واحدًا[١٧٢] لا شريك له عالمًا[١٧٣] كما أنّ الإيمان طاعة وليس كلّ طاعة إيمانًا[١٧٤]. قال: والعلم قبل العقل وأفضل من العقل وبيان ذلك أنّ العلم صفة الخالق والعقل صفة المخلوق دون الخالق لأنّه لا يصحّ أن يُقال: الله تعالى عاقل فإنّه كفر وصفة الخالق أفضل من صفة المخلوق.

فإن قيل: ما الحكمة أنّ الأمّ تشفق على الولد أكثر من الأب؟ فقل لأنّ خروج ماء المرأة من قدّام قلبها وهو صدرها وبين ثدييها فرسخ الحبّ

(١٧٢) في الأصل: واحد.
(١٧٣) في الأصل: عالم.
(١٧٤) في الأصل: إيمان.

في قلبها وخروج [٥٩أ] ماء الرجل من وراء ظهره فمحبّته كذلك قال الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق:٧] فالصلب ظهر الرجل والترائب صدر المرأة والصدر موضع القلب.

فإن قيل: ما الحكمة أنّ الولد ليس له شفقة على الوالدين وللوالدين شفقة على الولد؟ قيل: إنّ آدم عليه السلام وحوّا رضي الله عنها لم يكن لهما أبوان وكان لهما أولاد فيقع لهما الشفقة على الأولاد ولم يكن لهما أبوان ليقع لهما الشفقة عليهما.

فإن قيل ما الحكمة أنّ الناس يميلون إلى الجواري ويحبّونهنّ أكثر من حبّهم[١٧٥] الحرائر والله تعالى فضّل الحرائر على الإماء؟ قيل: لأنّ الحرّة صاحبة دَيْنه وهو المهر وليس إلى الإنسان أبغض من صاحب دَيْنه. وأمّا الجواري فهو[١٧٦] مال موضوع كالكيس الممتلئ وليس إلى الإنسان شيء أحبّ إليه من المال.

فإن قيل: لم خُصّ إبراهيم من دون سائر الأنبياء عليهم السلام بذكر في الصلوات دون غيره؟ قيل: لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليلة المعراج مرّ على جميع الأنبياء والمرسلين وسلّم عليهم وسلّم عليه كلّ شيء ولم يسلّم أحد منهم على أمّته سوى إبراهيم عليه السلام فإنّه قال: سلام عليك وإذا انصرفت فسلّم على أمّتك منّي فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلاته مقرونة بصلاته حتّى تصلّي عليه أمّته إلى يوم القيامة.

(١٧٥) في الأصل: حبّهنّ.

(١٧٦) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: فهي.

فإن قيل: ما الحكمة أنّ الله أمرنا أن نصلّي على النبيّ عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] ثمّ نحن نقول اللهمّ صلّ على محمّد نسأل من الله سبحانه أن يصلّي عليه ولا نصلّي [٥٩ب] عليه نحن بأنفسنا؟ قيل: لأنّ نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم طاهر لا عيب فيه ونحن معيوبون[١٧٧] فكيف يصلّي معيوب على طاهر؟ فصلّى على محمّد عنّا لتكون الصلاة من ربّ طاهر على نبيّ طاهر لا من عبد معيوب على نبيّ طاهر.

وقال بعض الحكماء: من عرف ربّه أتعب نفسه ومن عرف نبيّه قام على سنّته بالدوام ومن عرف نفسه لم يجعلها محلًّا للآثام ومن عرف ماله لم يجمعه من الحرام. وقال يحيى بن معاذ الرازيّ[١٧٨] رحمه الله: خير الدنيا والآخرة في ثلاث العيش مع الغنى والدين مع الهدى والسعي مع التقوى.

فإن قيل: ما الحكمة أنّ الله تعالى ذكر كيد الشيطان ضعيفًا وكيد النساء عظيمًا؟ قيل: لأنّ كيد الشيطان مع الله تعالى فصار كيده في قدرة الله تعالى ضعيفًا وكيد النساء مع المخلوق فلذلك وقع الفرق.

فإن قيل: ما الحكمة أنّ المرأة إذا طهرت من حيضها تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قيل: إن حوّا رضي الله عنها لمّا دنت من الشجرة

(١٧٧) في الأصل: معيوبين.

(١٧٨) أبو زكريّا يحيى بن مُعاذ الرازيّ، واعظ وزاهد من علماء المتصوّفة، توفّيَ في نيسابور سنة ٢٥٨ هـ.

التي مُنعت عن قربها وتناولت منها فخدشت يدها فخرج الدم منها فأخذت ورقةً من ورق تلك الشجرة ومسحت بها الدم من يدها ورمت الورقة فنوديت من الشجرة لطّخك الله كما لطختني[١٧٩] فقضى الله عليها بالحيض فلمّا أُهبطا إلى الدنيا فرض الله عليهما الصلوات عشر ركعات وصوم ثلاثة أيّام وهم إيّاهم البيض من كلّ شهر فلمّا حاضت حوّا رضي الله عنها أوّل مرّة أخبرت آدم عليه السلام [٦٠أ] وقالت: ظهر فيّ شيء ولم أكن أر قطّ فما تأمرني؟ قال لها آدم عليه السلام: لا أدري ما تصنعين حتّى أرى ما يأمرنا الله تعالى به فأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أن قل لحوّا إنّ الله عزّ وجلّ أمرك أن تتركي الصلاة حتّى تطهري[١٨٠] من دم الحيض فلمّا حاضت في الشهر الثاني وافق ذلك الأيّام البيض فقالت لآدم عليه السلام: قد ظهر فيّ تلك العلامة فما تأمرني؟ فقال لها: اصنعي ما صنعت[١٨١] في الصلاة من المرّة الأولى فصنعت وتركت الصوم فأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أن يرها تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فإنّ ترك الصوم كان بحكمك وترك الصلاة كان بحكمي فعاقبتها بالقضاء بحكمك ليعلم العبد أن ليس له أن يحكم ويعلم أنّ الأمر أمري والحكم حكمي والقضاء قضائي.

قال: ونظير هذا ما رُوي عن موسى عليه الصلاة والسلام أن أخذه وجع البطن حتّى صار محالًا[١٨٢] لم يبق له قرار ولا نوم فشكى إلى

(١٧٩) في الأصل: لطختيني.
(١٨٠) في الأصل: تطهر.
(١٨١) في الأصل: صنعتي.
(١٨٢) في الأصل: محال.

الله تعالى فأوحى الله تعالى إليه عليك بأكل الهليلج فأكل فعوفي فلمّا كان من العام القابل عاد إليه وجع البطن فلم يدع الله تعالى وذهب يأكل الهليلج فازداد به وجعه فعاد إلى ربّه فقال: يا ربّ العلّة تلك والدواء ذلك فلم يظهر لي منفعة كما ظهر في المرّة الأولى فقال له ربّه تبارك وتعالى: يا موسى في المرّة الأولى رجعت إليّ فجعلته شفاءً والآن رجعت إلى الدواء فجعلته نقمةً أما علمت يا موسى أنّه ليس لأحد أن يحكم [٦٠ب] وإن حكم لم ينفذ حكمه.

فإن قيل: الليل والنهار من الجنّة أو من النار؟ فقل إنّ النهار من النار والليل من الجنّة لأنّ الله تعالى خلق الجنّة منوّرةً وبقي فيها شيء يسير من الظلمة فأمر الله تعالى ملائكته أن يُخرجوا الظلمة من الجنّة فأُخرج[١٨٣] فخُلق منها الليل وفيه علامة الجنّة لأنّ جميع الراحات في الليل وخلق النهار من الجحيم فإنّ الله تعالى خلق الجحيم مظلمةً فبقي فيها نور يسير فأُخرج ذلك النور وخُلق منه النهار وفيه دلائل من الجحيم لأنّ الشدائد الصعاب كلّها تكون في النهار من التعب والنصب والخصومات وضرب الحدود والقصاص وجميع الأحكام ووقوع البهائم والدوابّ والطيور في التعب فإذا جُنّ الليل يستريح كلّ شيء.

فإن قيل: ما الحكمة في إخراج آدم عليه السلام من الجنّة؟ قال أبو القاسم الحكيم[١٨٤] رحمه الله: إنّ الحكمة في إخراج آدم عليه السلام من

(١٨٣) كذا في الأصل، ولعلّه: فأُخرجت.

(١٨٤) لعلّه أبو القاسم إسحاق بن محمّد بن إسماعيل الحكيم السَّمَرْقَنْدِيّ، قاضٍ حنفيّ من الزهّاد، لُقِّب بالحكيم لكثرة حكمته وموعظته، أخذ الفقه والكلام عن أبي=

الجنّة بزلّة واحدة لخمسة أشياء أحدها أنّه جاءت منه زلّة والجنّة ليست بموضع الزلّة والثاني أنّه صار مستوجبًا للعتاب والجنّة ليست بموضع العتاب والثالث كان يحتاج إلى توبة والجنّة ليست بموضع التوبة والرابع كان في صلبه نسل والجنّة ليست بموضع النسل والخامس كان مكتوب عليه الموت والجنّة ليست بموضع الموت.

فإن قيل: أيّ شيء أمر الله تعالى ولم يشأ وأيّ شيء لم يأمر وشاء وأيّ شيء أمر وشاء؟ [٦١أ] أمّا الذي أمر ولم يشأ فقد أمر إبليس عليه اللعنة بالسجود لآدم عليه السلام ولم يشأ ولو شاء لسجد وأمّا الذي لم يأمر وشاء فلم يأمر آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة وشاء أن يأكل ولو لم يشأ لم يأكل وأمّا الذي أمر وشاء فقد أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وشاء ذلك.

فإن قيل: ما أضرّ الأشياء للإنسان؟ فقل: ليس شيء أضرّ من الحرام لأنّ آدم عليه السلام حين تناول من الشجرة تقيّأ[١٨٥] عمدًا فلمّا وقع صار ذلك سمًّا ناقعًا قاتلًا إلى يوم القيامة وأصل السمّ من ذلك ولمّا تناول من تلك الشجرة بقي قوته من ذلك في بدنه فجامع حوّا رضي الله عنها بعدما تاب فخرج منه قابيل فقتل أخاه هابيل فانظر كيف ضرّه بعد حين وإن كان قليلًا فما ظّنك إذا كان غاية طعامك من الحرام حتّى قال عليّ بن أبي

=منصور محمّد الماتُريديّ، وصحب مشايخ بَلْخ في زمنه وأخذ عنهم التصوّف، وقد وليَ قضاء سَمَرْقَنْد مدّةً طويلةً، ت ٣٤٢ هـ (وورد ٣٤٥ هـ).

(١٨٥) في الأصل: تقايا.

طالب رضي الله عنه: من نظر إلى الحرام فلم يتناول ولم يتمنّ[١٨٦] لنفسه فإنّه لا يجد حلاوة العبادة أربعين سنة فكيف من طلب الحرام وأكله.

فإن قيل: ما الحكمة في قول الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؟ [الفتح:٢] هل كان للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذنب وزلّة فقد كان وقت الصبا وهو أنّ الصبيان قالوا له: تعال[١٨٧] حتّى نلعب فقال: هو ذا لحقتكم ثمّ إنّه ندم على ذلك بعدما تفرّقوا عنه قال كما قال يحيى بن زكريّا عليهما السلام حيث قال له الصبيان مثل ذلك فقال إنّ الله تعالى لم يخلقنا للّعب والعبث حتّى مدحه ربّه عزّ وجلّ فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢] فهذه كانت زلّة نبيّنا عليه الصلاة والسلام وقال [٦١ب] بعضهم: ذنبه المتقدّم ذنب أبيه آدم عليه السلام والمتأخّر ذنوب أمّته فإنّ الله تعالى يغفرها لهم ويهبها[١٨٨] لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى:٥].

فإن قيل: لم أضاف الدنيا إليه والزلّتان إحداهما حصلت منّا والأخرى حصلت من آدم عليه السلام؟ قيل إنّما أضاف ذلك إليه لأنّه سيّد الخلق من أوّلهم إلى آخرهم وهو أميرهم وشفيعهم والخلق كلّهم رعيّة والذنب الحاصل من الرعيّة يُضاف إلى الأمير. قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: خمسة من خمسة محال الهيبة من الفقير محال والحرمة من الفاسق محال والأنس من العدوّ محال والوفاء من المرأة محال والنصيحة من

(١٨٦) في الأصل: يتمنّى.
(١٨٧) في الأصل: تعالى.
(١٨٨) في الاصل: ويهبهم.

الحاسد محال. قال أبو القاسم الحكيم: القلب إذا قسى لا يبالي إذا عصى.

فإن قيل: إنّ الله تعالى عالم بخروج العبد من الدنيا مؤمنًا أو كافرًا فما الحكمة في سؤال منكر ونكير في القبر؟ قيل: لأنّ الله تعالى لمّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقالت الملائكة عليهم السلام: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ وقال تعالى مجيبًا لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] ثمّ أظهر بني آدم ليلة الذرّيّة وسألهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فقال المؤمنون: ﴿بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:١٧٢] ثمّ أظهرهم واحدًا بعد واحد في كلّ حين وزمان حتّى شهدوا له بالربوبيّة والوحدانيّة ثمّ أماتهم وسلب منهم أرواحهم ونزع عنها ملاكهم ونقلهم من ضياء الدنيا [٦٢أ] إلى ظلمة القبر وأذاقهم النزع والموت ثمّ أمر اثنين من الملائكة وقال لهما: اذهبا إلى عبدي واسألاه[١٨٩] عنّي وعن الدين وعن نبيّه فيحفران قبره ويسألانه فيجيب العبد المؤمن ربّي الله وديني الإسلام ونبيّي محمّد عليه الصلاة والسلام فيرجعان[١٩٠] الملائكة ويخبران فيقول الله تعالى: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[١٩١] علمت من بني آدم في الابتداء وهي ليلة الذرّيّة أنّهم يقرّون بوحدانيّتي وفي الوسط في حال حياتهم أنّهم يقرّون

(١٨٩) في الأصل: واسلاه.

(١٩٠) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: فيرجع.

(١٩١) في القرآن: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ و﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦].

بوحدانيّتي وبعد الموت إذا أحييتهم أنّهم يقرّون بوحدانيّتي ليعلم[١٩٢] ملائكتي أنّي أعلم من بني آدم ما لا يعلمون.

فإن قيل: بم عرفت الملائكة أنّ بني آدم يفسدون في الأرض قيل: اعتبروهم بأبي الجانّ وأولاده وإنّ ولاية الأرض سبعة آلاف سنةٍ كان لأبي الجانّ وأولاده وكانوا يفسدون في الأرض فاعتبرت الملائكة عليهم السلام وقاست بني[١٩٣] آدم ببني[١٩٤] الجانّ.

فإن قيل: ما الحكمة أنّ الصبيّ إذا خرج من بطن أمّه يبكي ويصيح؟ قيل: لأنّه قد أُدخل في السجن لأنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر.

فإن قيل: الكافر يبكي أيضًا قيل: يذكر خروجه من الدنيا وهي جنّته فيبكي لهذا.

وحكمة أخرى قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولود يولد على الفطرة إلّا أنّ أبويه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه» وسمّى النبيّ عليه الصلاة والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر وقد نرى مؤمنًا لا يبلغ عيش يومه وكافرًا مستغرقًا[١٩٥] في النعم قال: سألت [٦٢ب] الشيخ الإمام أبا[١٩٦] بكر محمّد بن الفضل رحمه الله عن هذا فقال: النعمة التي يُعطى المؤمن في الآخرة تكون كثيرًا بمقدار ما تصير نعم هذه الدنيا كلّها

(١٩٢) في الأصل: ليعملوا.
(١٩٣) في الأصل: بنوا.
(١٩٤) في الأصل: ببنوا.
(١٩٥) في الأصل: مستغرق.
(١٩٦) في الأصل: أبو.

كنعم أهل النار والشدّة التي تستقبل الكافر في العقبى تكثر عليهم حتّى تصير هذه الشدائد التي تستقبلهم في الدنيا جنّة بمكان تلك الشدائد. قال: وكان مجوسيّ واقفًا[١٩٧] حين سألته عن ذلك فقال المجوسيّ: إذا كان الأمر هكذا فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله وكان هذا على رأس قنطرة على نهر يعرف بهروان السفليّ وتُعرف القنطرة بقنطرة كماري وهي قرية من قرى بخارى. والحمد لله وحده.

تمّ الكتاب المبارك بحمد الله
وعونه
وحسن توفيقه.

(١٩٧) في الأصل: واقف.

الفهارس

فهرست الآيات القرآنيّة

فهرست متون الحديث

فهرست الأعلام

فهرست الأماكن

فهرست الآيات القرآنيّة

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	٣٠	٧٢
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	آل عمران	١٩	٤٧
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	آل عمران	٣٣	٦١
﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾	آل عمران	٣٧	٥٠
﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	آل عمران	٩٢	٥٢
﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾	آل عمران	١٠٦	٦١
﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾	الأنعام	٦٠	٦١
﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	الأعراف	١٣٨	٤٥
﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾	الأعراف	١٤٢	٤٩

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾	الأعراف	١٥٥	٣٦
﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾	الأعراف	١٥٧	٥٦
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾	الأعراف	١٧٢	٧٢
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾	الأنفال	٤	٦١
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾	التوبة	٥١	٣٨
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	التوبة	٧٣	٣٦
﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾	يونس	٥	٤٨
﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾	هود	٣٦	٤٧
﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾	يوسف	١٣	٦٤
﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾	يوسف	٦٤	٦٤
﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾	يوسف	٨٤	٥٠
﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	يوسف	٩٦	٧٢
﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾	إبراهيم	٣٧	٣٥

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾	الحجر	٢	٦٢
﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾	النحل	٦٨	٥٧
﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾	مريم	١٢	٧١
﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾	مريم	٢٥	٥٠
﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾	طه	٨٣	٤٩
﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾	الأنبياء	٢٠	٦١
﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾	النمل	١٨	٥٦-٥٧
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾	القصص	٧	٣٥
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾	القصص	٥٦	٥٤
﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾	العنكبوت	١٤	٤٦
﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾	الأحزاب	٤٠	٥٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	الأحزاب	٥٦	٦٧
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	سبأ	٢٨	٥٨

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	الصافات	١١٢	٥٢
﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾	ص	٧٣-٧٤	٣٧
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	الشورى	١١	٤٤
﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾	الزخرف	٥١	٣٦
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	محمّد	١٩	٦٥
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	الفتح	٢	٧١
﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾	الذاريات	٢٨	٥٢
﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾	الصف	٦	٥٥
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾	الجمعة	٤	٥٤-٥٥
﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾	نوح	٢٦	٤٦
﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾	الطارق	٧	٦٦
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾	الضحى	٥	٧١

فهرست متون الحديث

الحديث/ الأثر	الصفحة
اجتهدوا بمحافظة اثنتي عشرة ركعةً في كلّ يوم وليلة اثنين في الصلوات الخمس المكتوبات فإنّ جبريل أخبرني أنّك يا محمّد وأمّتك إذا أردتم أن تدركوا ثواب الأنبياء عليهم السلام والمرسلين قبلك فواظبوا على هذه الاثنتي عشرة ركعة.	٥٨
إنّ سنّتي مائة وستّة وثمانون فاستعملوها كلّها تنالوا شفاعتي وتدركوا رضا الله تعالى لتدخلوا الجنّة وإن لم تستطيعوا الكلّ فلا بدّ من استعمال الستّ فإنّ من استعملها وجدني ومن لم يستعملها لم يجدني ومن لم يجدني لم يدخل الجنّة. أوّلها العلم فإنّه رأس مالي، الثاني الصلاة فإنّها قرّة عيني، الثالث الصوم فإنّه ثمرة فؤادي، الرابع القرآن فإنّه جلاء همّي، الخامس الغزو فإنّه حرفتي، السادس الفقر فإنّه اختباري.	٥٧-٥٨
إنّ الله تعالى يعطي المال لمن يحبّ ولمن لا يحبّ ولا يعطي الإيمان إلّا لمن يحبّ.	٥٤
إنّما يرحم الله من عباده الرحماء.	٥١
تنام عيناي وقلبي لا ينام.	٦٣

جاء في الخبر حين انصرف من غزوة تبوك أنّه نزل واديًا فقال: من يحرسنا الليلة؟ فقال بلال رضي الله عنه: أنا أحرسكم ثمّ ناموا كلّهم حتّى طلعت الشمس.	٦٣
الحذر ينفع القدر.	٣٨
كلّ مولود يولد على الفطرة إلّا أنّ أبويه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه.	٨٧٣
لولا أنّي أخاف تغيّر الأحوال وإلّا لشهدت لأربعة نفر بالجنّة وتسوية درجاتهم مع عليّ بن أبي طالب أوّلهم امرأة مات عنها زوجها ولها منه ولدان ذكران أو انثيان فخُطبت فلم تتزوّج لمكان تربية أولادها حتّى كبروا والثاني امرأة وهبت صداقها لزوجها لأجل الله تعالى والثالث من قام بين يدي والديه تبجيلًا لهما والرابع من اكتسب مالًا من حلال وأنفق على حلال وبات معها وجامعها ومات في تلك الليلة قبل أن يغتسل فهو في الجنّة.	٦٠
يخرج بعدي ثلاثون كذّابًا يدّعون النبوّة.	٥٩

فهرست الأعلام

آدم (عليه السلام): ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٥٣، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣

إبراهيم (عليه السلام): ٤٠، ٥١، ٥٢، ٥٨، ٦١، ٦٦

إبليس: ٣٧، ٧٠

أبو بكر الصدّيق: ٥٣، ٥٤، ٦٢ح

أبو بكر محمّد بن الفضل: ٦٢، ٧٣

أبو القاسم الحكيم: ٦٩، ٧٢

أبو محمّد عبد الله بن الفضل: ٥٩-٦٠، ٦٢

أبو هريرة: ٦٠

أبو يوسف القاضي: ٥٩

أحمد ابن الجنديّ: ٥٣

إدريس (عليه السلام): ٦٢

إسحاق (عليه السلام): ٥٢

إسماعيل (عليه السلام): ٦٢

امرأة موسى (عليه السلام): ٤٥

أُمّ موسى (عليه السلام): ٣٥

أنس بن مالك: ٦٠

أيّوب (عليه السلام): ٣٨، ٣٩

بلال بن رباح: ٦٣، ٦٤

بنيامين ابن يعقوب: ٦٤
جبريل: ٥١، ٥٨
حوّا: ٥٣، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٠
دردائيل (عليه السلام): ٥١
زكريّا (عليه السلام): ٥٠، ٦٢، ٧١
سارة: ٥١، ٥٢
سليمان (عليه السلام): ٥٦، ٥٧
شيث (عليه السلام): ٦٢
عليّ بن أبي طالب: ٥٤، ٦٠، ٧٠، ٧١
عيسى (عليه السلام): ٥٠، ٥٥، ٥٨، ٦٣
فرعون: ٣٦
قابيل: ٧٠
قارون: ٥٠
كعب الأحبار: ٦٢
لوط (عليه السلام): ٥١، ٦٢
محمّد (ص): ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤
مريم ابنة عمران: ٥٠
منكر ونكير: ٥٨، ٦١، ٧٢
موسى (عليه السلام): ٣٥، ٤٠، ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٥٨، ٦٨، ٦٩
ميكائيل (عليه السلام): ٥١
النمرود: ٣٦
نوح (عليه السلام): ٤١، ٤٦، ٦١، ٦٢
هابيل: ٧٠

هارون (عليه السلام): ٤٩
يحيى (عليه السلام): ٧١
يحيى بن معاذ الرازيّ: ٦٧
يعقوب (عليه السلام): ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٤
يوسف (عليه السلام): ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٢، ٦٤

فهرست الأماكن

بخارى: ٦٢، ٧٤
البيت الحرام: ٥٥
بيت المقدس: ٥٨
تبوك: ٦٣
طور سيناء: ٤٥، ٥٨
قرى قوم لوط: ٥١
قنطرة كماري: ٧٤
مصر: ٣٦
نهر هروان السفليّ: ٧٤
وادٍ غير ذي زَرْع: ٣٥

المحتويات

مقدّمة ٧
الحكمة والعلل ٧
العلل في الشريعة ٩
أنبياء الحكمة ١٢
الزندويستيّ الفقيه الزاهد..... ١٨
روضة العلماء..... ١٨
أبواب كتاب روضة العلماء..... ١٩
من نصوص الحكمة في روضة العلماء ٢٥
الحكمة الخليقة..... ٢٨
مخطوطات الحكمة الخليقة ٢٩
متن الكتاب: الحكمة الخليقة..... ٣٥
الفهارس ٧٥
فهرست الآيات القرآنيّة..... ٧٧
فهرست متون الحديث ٨١
فهرست الأعلام..... ٨٣
فهرست الأماكن..... ٨٧
المحتويـات..... ٨٩

الطباعة: **المطبعة العربيّة ش.م.ل.**

٢٠٢٣/٣/١٥-٠,٣-٧٤٥